صدق رسول الله ﷺ

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾

علي محمد الطنوبي

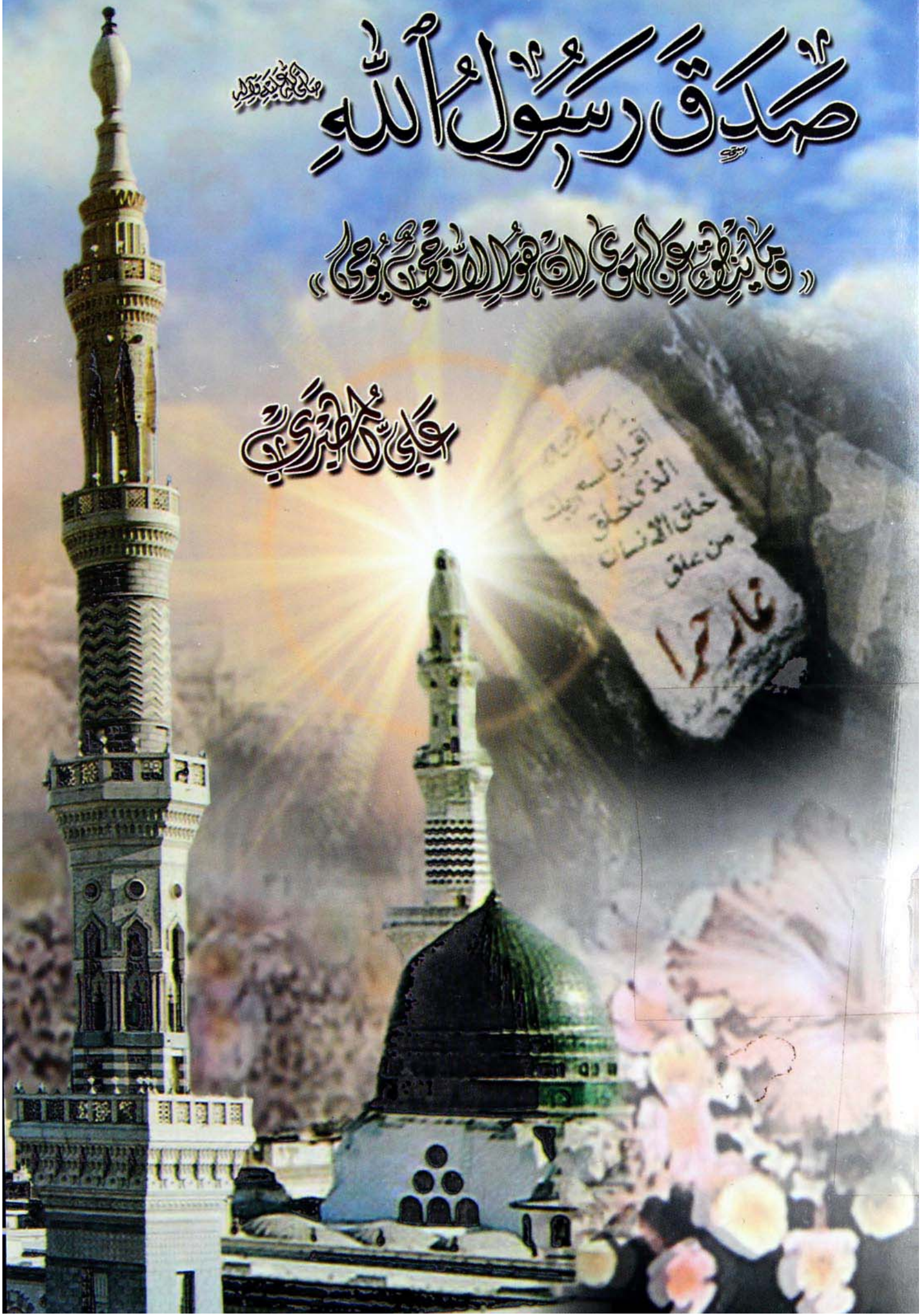

www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق رسول الله صلى الله عليه وآله

﴿وما ينطق عن الهوىٰ إنّ هو إلّا وحي يوحىٰ﴾

علي المطيري

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤٣٤٦

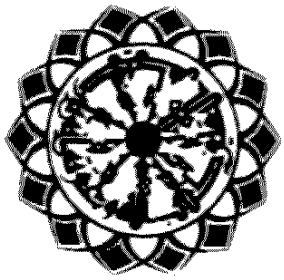

اسم الكتاب: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله

المؤلف: علي المطيري

الموضوع: تاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الاولى

التاريخ: ١٤٢٧ هـ

المطبعة: ليلىٰ

الكمية: ٣٠٠٠

شابك: ٢-٩١-٨٦٨٦-٩٦٤

ISBN: 964-8686-91-2

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

www.ahl-ul-bayt.org

أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

« الصحاح والسنن »

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى

المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلّاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدّم بالشكر الجزيل للأُستاذ الشيخ عليّ المطيري لتأليفه هذا الكتاب ولكل الأُخوة الذين ساهموا في اخراجه.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جـهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بـالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية

مقدمة المؤلّف

أطلتُ النظر وأجلت البصر لاختيار خبر أو أثر يجمع بين دلائل النبوّة والإمامة ممّا رواه الخاصّة والعامّة.

فلمعَ لي من بين الأخبار كالشمس في رابعة النّهار ما ثبت عن النبيّ المختار حديثٌ يتضمّن المعاجز والدلائل، يفرّق بين الحقّ والباطل، لمن خلع ثوب اللّجاج والعناد وابتغىٰ مرضاة ربّ العباد.

ألا وهو الحديث الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وآله في حقّ زوج البتول:

«يا عليّ أنت تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

حديث تجلّىٰ فيه حرص النبيّ على هذه الأُمة واهتمامه بها وما يجري عليها، فأوضح صلى الله عليه وآله لهم الحقّ الحقيق وبيّن معالم الطريق، وعرّفهم العدو من الصديق شأنه في ذلك كشأن الأنبياء الذين خَلَوا بل هو أحرص فأنذر وأعذر وبشّر وحذّر وأفصح وفسّر.

وكما قال سبحانه وتعالى: **﴿إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً...﴾**

فليس هناك في تقديم عليّ عليه السلام على غيره مصالح ومنافع شخصيّة وعائليّة وطائفيّة ابتغاها الرسول، فيرتكب صلى الله عليه وآله حيفاً وظلماً واجحافاً في حقّ الآخرين، كما قال بعضهم: «كرهنا أن تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم!» فهذا كلام مَن يجهل المقام الشامخ للرسالة والنبوّة، أو يتجاهل وأنّه ينظر الى النبيّ كما ينظر الى كسرىٰ أو قيصر أو أحد ملوك الدنيا، وأنّ النبيّ يحبّ ويشتهي ويثأر ويغضب لنفسه وكأنّه ليس بحجّة الله وخليفته والواسطة بين الحقّ والخلق، والحديث المزبور كما يحمل آهات وحسرات على تلك الطوائف أو الفرق التي ترددت في المتاهات والظلمات، فإنّه يحمل بشائر ومسرّات ومعاجز ودلالات سوف نقرأها معاً من خلال الروايات.

ثمّ إنّ الحديث عمّا جرى على الوصي الأمير صاحب بيعة الغدير، لحديث يعلو به الإسلام وينقشع به الغمام والأوهام، فتصبح الحقيقة ساطعة والقلوب السليمة خاشعة طائعة.

ولهذا وذاك ترى النبي صلى الله عليه وآله نوّه ولهج باسم عليّ من أوّل يوم، يوم الإنذار وإلى آخر يوم يوم الدّار.

كلّ ذلك تمهيداً لقبول الحقّ وترويضاً للنفوس، فأبىٰ أكثر النّاس إلّا كفوراً، وصدق سبحانه حيث يقول: ﴿**وأكثرهم للحقّ**

كارهون﴾، وقوله المتكرّر: ﴿ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾، وهذا هو شأن الأكثرية والغالبيّة فتراهم يتبعون: ﴿عِجلاً جسداً له خوار﴾، لأنّه يصيح ويعيط ويتركون موسىٰ وهارون.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾، «فالنّاس عبيد الدّنيا والدّين لعقٌ على ألسنتهم» وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل».

الدواعي

حفظاً لهذه الحقائق من أن تأتي عليها آفة عصرنا وزماننا، المسمّاة بالتحقيق والتعليق التي هدفها التمزيق والتشقيق والتفريق، فتبتلع وتقتلع ما حقّه أن يسمو ويرتفع.

وإنّي إذا نظرت في كتب القوم فرأيتهم أتوا البيوت من ظهورها فأطنبوا وأسهبوا فيما ليس له صلّة بالموضوع، وأوجزوا واختصروا وقطعوا وبتروا ماهو من صميم البحث.

فرأيت جمعها مرتبة مهذّبة في كتاب، كي يطلع عليها أولو الألباب ويصحّ فيها قول ربّنا: ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ .

فينهل منه الخواص والعوام، إذ ليس عليها برقع ولثام، بيّنة واضحة المقصد والمرام.

فـهذه العـلل والأسـباب التـي دعـتني الى تـأليف الكـلمات المنتشرة، ونظم اللئالي المنتثرة، ورصّ اللبنات المـبعثرة، فـصار كالبنيان المرصوص المنمّق بأجمل النصوص، والمـزيّن بـأبهىٰ الفصوص.

ترىٰ الفتىٰ ينكر فضلَ الفـتىٰ مـادام حـيّاً فـإذا مـا ذهب
لحّ بـه الحـرصُ عـلى نكـتةٍ يكـتبها عـنه بـماء الذهب

❁ ❁ ❁

«أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»[1]

(الإمام علي عليه السلام)

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله باعتباره حجّة الله على الناس وخليفته والذي يؤدي عن الخالق سبحانه وتعالى.

ما ترك أمراً من الأُمور أو حدثاً من الأحداث المهمّة التي تمرّ على المسلمين إلّا بيّنها حتى تتمّ الحجّة ولا يبقىٰ عذر لمعتذر.

فحذّرهم وأنذرهم وبشّرهم وأمرهم وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً* وداعياً الى الله**

---

(١) انّ اشتهار هذا الحديث وثبوته عند المسلمين يغنينا عن سرد وذكر مصادره وطرقه.

ومن أراد الاطلاع على مصادر وطرق الحديث فليراجع الغدير ج٢، ص١٩٤ وفضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج٢، ص٣٩٨، فقد ذكر من مصادر وطرق القوم أبناء العامّة والجماعة ما فيه الكفاية.

ونحن قد ذكرنا بعض هذه الروايات في آخر كتابنا هذا تحت عنوان مصادر الحديث ص١٤٨.

بإذنه وسراجاً منيراً﴾[١].

بشّرهم بحسن الثواب وأنذرهم سوء العقاب فكلّ ما كان أو هو كائن من الحوادث المهمّة الصعبة التي يؤاخذ الله عليها، ولابدّ من معرفة الحقّ فيها.

هناك حجّة كافية وبيان وبرهان سواء في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، أو حين وفاته، أو بعد إرتحاله وانتقاله الى الرفيق الأعلىٰ وحتى آخر حدث في هذه الدنيا.

بدأ بأوّل حدث أو فتنة وهي مسألة الإمامة والخلافة والوصيّة وآخر حدث سوف يحدث في هذه الأُمّة وهي قضيّة الإمام المهدي الموعود (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

فترىٰ العشرات بل المئات من الحجج والبراهين، التي توضح وتبيّن الحقّ في كلّ حدث وفتنة وابتلاء.

وهاهي كتب القوم أبناء العامّة والجماعة ملئىٰ فضلاً عن كتب الخاصّة تنقل وتروي أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله، بما سيواجه هذه الأُمّة وأنّه صلى الله عليه وآله يبيّن جادّة الصواب وسبيل النجاة والخلاص.

---

(١) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

فما من حدث مصيري يتعلّق بمصير الأُمّة ومستقبلها إلّا ونبيّ الرحمةﷺ يُعرّف أُمّته سبيل الهدىٰ والرشاد.

وفي جلّ إن لم نقل كلّ هذه الأخبار ظهرت دلائل نبوّته وعظمته ومعاجزه إذ صدّق الواقع أقواله في هذه الأحداث أو الفتن.

فمن هذه الأخبار ماذاع وشاع عنهﷺ واشتهر ونقله كلّ من كتب وصنّف في الأحاديث والتاريخ والسير فلم يعد يخفىٰ حتى على ربات الحجال فضلاً عن الرجال فهو من الأخبار الشهيرة ومصادره كثيرة، حتى قال ابن أبي الحديد المعتزلي بضرس قاطع: قد ثبت عن النبيّﷺ انّه قال لعليّ: «**تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين**»[1].

فتعبيره وقوله ثبت عن النبيّ، أي ليس هناك شكّ وريب وتزلزل؛ بل ثبوت ويقين.

ونحن نتعرّض لكلّ فرقة بإيجاز واختصار إذ الأمر في غاية الاشتهار ،فلا داعي الى الإكثار، ولا يخفى ما في دراسة هذه الأحداث من فوائد جمّة ودورس وعِبر ومعاجز ودلائل للنبيّﷺ

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٣، ص١٨٣.

والوصي عليه السلام، ظهرت في هذه الملاحم والفتن.

أمّا الطائفة أو الفئة الأُولى التي تصدّىٰ لها أمير المؤمنين عليه السلام فهم:

الناكثون

سمّاهم بذلك النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّهم نكثوا الأيمان والعهود والمواثيق، نكثوا بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام بعد توكيدها: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾[1].

قادة هذه الفئة طلحة والزبير وعائشة، فالأحرىٰ بنا وقبل كلّ شيء أن نتعرّف على هؤلاء الثلاثة.

طلحة

هو أبو محمد طلحة بن عبيدالله بن عثمان من بني تيم بن مرّة أبوه ابن عمّ أبي بكر، وأُمّه الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل أن تكون عند عبيدالله تحت أبي سفيان صخر بن حرب، فطلقها ثم تبعتها نفسه فقال فيها شعراً أوّله:

---

(١) النمل: ١٤.

وإنّـــي وصـــعبة فـــيما أرىٰ بـــعيدان والودُود قـــريب

وشلّت بعض أصابعه يوم أُحد[١].

طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله

هو الذي نزل فيه قوله تعالى: **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً﴾**[٢].

نزلت الآية لمّا قال طلحة: «أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا، ويتزوّج نساءنا من بعدنا، فإن حدث به حدث لنزوّجن نساءه من بعده»[٣]. وقال: «إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله لتزوّجتُ عائشة وهي بنت عمّي» فبلغ ذلك رسول الله فتأذّىٰ به فنزلت الآية»[٤].

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩، ص٥٦، من كلام لعليّ عليه السلام يخاطب به طلحة: «**وأمّا أنت يا طلحة فقلت: إن مات محمّد لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركضَ بين خلاخيل نسائنا**»[٥].

---

(١) ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٢٥، والروض الأُنف: ٤٣/٣ المطبعة العلمية بيروت وعيون الأخبار لابن قتيبة: ١٠١/٤.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ٢١٤/٥ مع اختلاف يسير.

(٤) راجع تفسير الآية عند القرطبي والآلوسي وابن كثير والبغوي والخازن وفيض القدير وطبقات ابن سعد: ٣٤٩/٨.

(٥) السقيفة لأبي بكر الجوهري: ص٨٨.

طلحة مع أبي بكر

ودخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال: إنّه بلغني أنّك يا خليفة رسول‌الله استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقىٰ الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم وأنت غداً لاقٍ ربّك فيسألك عن رعيّتك! فقال أبوبكر: اجلسوني، ثم قال: أبالله تخوّفني! إذا لقيتُ ربّي فسألني[١] قلت استخلفت عليهم خير أهلك. فقال طلحة: أعمر خيرالنّاس يا خليفة رسول‌الله! فاشتدّ غضبه، وقال: أي والله هو خيرهم وأنت شرّهم. أما والله لو ولّيتك لجعلت أنفك في قفاك ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها اتيتني وقد دَلَكت عينك تريد أن تفتنني عن ديني وتزيلني عن رأيي‌قم لا أقام الله رجليك أما والله لئن عشت فواق ناقة وبلغني أنّك غمصته فيها، أو ذكرته بسوء لألحقنك بمحمضات قُنّة حيث كنتم تسقون ولا تروون وترعون ولا تشبعون وأنتم بذلك بجحون راضون، فقام طلحة فخرج[٢].

---

(١) الطبري: ٤٣٣/٣، سنة ١٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١/ ١٦٥.

طلحة مع عمر

فمن كلام لعمر مع الستّة من أصحاب الشورىٰ جاء فيه أفلا أخبركم عن أنفسكم؟

ثم أقبل على طلحة ـ وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر ـ فقال له أقول أم أسكت؟ قال: قل فإنّك لا تقول من الخير شيئاً قال: أمّا أنّي أعرفك منذ أصيبت[١] إصبعك يوم أُحد وائياً[٢] الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.

قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ: الكلمة المذكورة ان طلحة لمّا أُنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممّن نقل عنه الى رسول الله ﷺ: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ.

قال أبوعثمان أيضاً: لو قال لعمر قائل، أنت قلت إنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن الستّة، فكيف تقول الآن لطلحة انّه مات ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها لكان قد رماه بمشاقصة، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا[٣].

---

(١) كنز العمال: ٥/٢٩٢ و ٢٩٤.

(٢) وائياً: غاضباً.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١، ص ١٨٥.

طلحة مع عثمان

يقول ابن أبي الحديد: وكان طلحة من أشدّ الناس تعريضاً عليه، وكان الزبير دونه في ذلك[١].

ويقول أيضاً في نفس الصفحة: وروىٰ الناس الذين صنّفوا في واقعة الدار انّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام، ورووا أيضاً انّه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة الى دارٍ لبعض الأنصار، فأصعدهم الى سطحها وتسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

ويقول في ج ١٠، ص ٤: وقد كان طلحة اجهد نفسه في أمر عثمان[٢] والإجلاب عليه والحصر له والاغراء به ومنّتْهُ نفسه الخلافة بل تلبّس بها وتسلّم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقاتل الناس وأحدقوا به ولم يبق إلّا أن يصفق بالخلافة على يده.

---

(١) شرح النهج: ج ٩، ص ٣٥، والعقد الفريد: ج ٥، ص ٤٠، ٤٦، ٤٩، والطبري: ٤/٣٧٩ / ٤٠٥ / ٤٣١، والكامل: ٣/١٧٤، وتاريخ المدينة المنوّرة: ج ٤ / ١١٦٩ـ ١١٩٧ـ ١١٩٩ـ ١٢٨٧.

(٢) ذكر بعض ذلك ابن الأثير الكامل: ٣/١٧٤، والعقد الفريد: ٥/٤٠، وكنز العمال: ٥/٢٩٧.

ويقول في ج٩، ص٣٥: روي أنّ عثمان قال: ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرض عليَّ اللهمّ لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه.

ويقول ابن أبي الحديد في ج١، ص١٦١: وقال أبوجعفر الطبري وكان لعثمان على طلحة بن عبيدالله خمسون ألفاً، فقال طلحة له يوماً : قد تهيّأ مالك فاقبضه فقال : هو لك معونة على مروءتك، فلمّا حُصر عثمان، قال عليّ عليه السلام لطلحة[1]: «**انشدك الله إلّا كففت عن عثمان**»، فقال: لا والله حتى تعطي بنو اُمية الحقّ من أنفسها، فكان عليّ عليه السلام يقول: «**لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل**».

وعندما استنجد عثمان بعليّ لما حوصر، جاء سلام الله عليه الى طلحة وقال: «**يا طلحة ما هذا الأمرالذي وقعت فيه؟**» فقال: يا أباالحسن أبعد ما مسّ الحِزام الطبيين فانصرف عليّ عليه السلام ولم يُحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فنادىٰ : **افتحوا الباب**، فلم يقدروا على فتحه فقال: **اكسروه**، فقال: **اخرجوا هذا المال**، فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع عليّ عليه السلام فجعلوا

---

(١) الطبري: ٥/٤، والكامل: ١٨٣/٣.

يتسللون إليه حتى بقي طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك ثم أقبل طلحة يمشي عامداً الى دار عثمان فلمّا دخل قال: يا أميرالمؤمنين استغفر الله وأتوب إليه لقد رُمت أمراً حال الله بيني وبينه فقال عثمان: إنّك والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً[١].

وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان: إنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام وأن عليّاً عليه السلام لم يبايع الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وأن حكيم بن حزام بن عبدالعزّىٰ وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم.

فلمّا صار هناك رجم سريره وهمّوا بطرحه، فأرسل عليّ عليه السلام الى الناس يعزم عليهم ليكفّوا عنه، فكفّوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب[٢].

---

(١) شرح النهج: ج ١٠، ص٨، وتاريخ الطبري: ج ٤/٤٣١، وابن الأثير: ج ٣، ص ١٦٧.

(٢) شرح النهج: ج ١٠، ص ٦.

مروان يثأر لعثمان[١]

وقال مروان بن الحكم يوم الجمل: والله لا أترك ثأري وأنا أراه ولأقتلنّ طلحة بعثمان فإنّه قتله. ثم رماه بسهم فأصاب مأبضه[٢] فنزف الدمّ حتى مات[٣].

قال أبومخنف: فأما طلحة فإنّ أهل الجمل لمّا تضعضعوا قال مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحىٰ له بسهم فأصاب ساقه فقطع أكحله فجعل الدم يبض فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك أما من مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلني الدم فيقول له مولاه انج: وإلّا لحقك القوم، فقال: بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتى انتهى الى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها[٤].

وقال أبومخنف: وقد قال عبدالملك بن مروان: لولا أنّ أبي أخبرني أنّه رمىٰ طلحة فقتله ما تركت تيميّاً إلّا قتلته بعثمان[٥].

---

(١) ابن الأثير: ج٣، ص٢٤٤، وابن سعد: ١١٩/٣.

(٢) المأبض: ما يثبّ عليه الفخذ.

(٣) شرح النهج: ج٩، ص٣٦، والعقد الفريد: ٧٠/٥، وطبقات ابن سعد: ١١٩/٣ و٢٠/٥، والمسعودي: ٣٧٣/٢.

(٤) شرح النهج: ج٩، ص١١٣.

(٥) شرح النهج: ج٩، ص١١٤،وطبقاتابن سعد: ١١٩/٣ط التراث العربي بيروت.

الزبير

أبوه العوام بن خويلد شقيق خديجة بنت خويلد أُم المؤمنين عليها السلام، أُمه صفيّة بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، أحد الستّة الذي رشّحهم عمر للشورىٰ، وأحد العشرة كما يقولون، يكنّى بابنه عبدالله.

ولابنه عبدالله الأثر الكبير في انحرافه عن أميرالمؤمنين حتى قال عليه السلام : «**ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله**»(١) .

كان في صحبة النبيّ الى أن انتقل صلى الله عليه وآله الى جوار ربّه وبعدها صحب الإمام عليّ عليه السلام، حتى أيّام مقتل عثمان فانحرف بعد ذلك عنه وخرج مع طلحة وعائشة الى حربه يوم الجمل.

له مواقف شريفة قبل انحرافه عن علي عليه السلام منها:

وقوفه الى جنب الإمام عليه السلام يوم السقيفة حتى انّه شهر سيفه.

يقول ابن أبي الحديد في ج٦، ص٤٨: قال أبوبكر: وحدّثني أبوزيد عمر بن شيبة عن رجاله قال: جاء عمر الى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال: والذي نفسي

---

(١) شرح النهج: ج ٢٠ / ٤٦١، والاستيعاب: ج ٢ / ٣٠٢.

بيده لتخرجنّ الى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم، فخرج إليه الزبير مصلتاً بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره[١]. ومنها: تنازله عن حقّه يوم الشورىٰ لأميرالمؤمنين عليه السلام ، فكان من حقّه أن يرشّح نفسه وأن يصوت لمن يشاء.

رأي عمر فيه

«أما أنت يا زبير فوعِق لقِس مؤمن الرّضا، كافر الغضب، يوماً إنسان ويوماً شيطان، ولعلّها لو أفضت إليك ظلّت يومك تلاطم بالبطحاء على مدٍّ من شعير أفرأيت إن أفضت إليك! فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ومن يكون لهم يوم تغضب، وماكان الله ليجمع لك أمر هذه الأُمّة وأنت على هذه الصفة»[٢] .

---

(١) السقيفة لأبي بكر الجوهري: ص ٥٠ / ٥١ / ٤٤ / ٦٠ / ٧١، وكنز العمال: ٢٣٩/٥.

(٢) شرح النهج: ج ١، ص ١٨٥، وكنز العمّال: ج ٥، ص ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، وابن شبة في تاريخ المدينة المنوّرة: ٨٨٠/٣.

موقف الزبير من عثمان

يقول ابن أبي الحديد في ج٩، ص٣٦: ورووا أيضاً أنّ الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم فقالوا: إنّ ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما أكره أن يقتل عثمان ولو بُدء بابني؛ إنّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً.

وفي نفس الجزء، ص٣٥ يقول: وكان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه وكان الزبير دونه في ذلك. وفي العقد الفريد: ج٥ / ٤٩ مثله.

تذكير وتحذير من قبل الأمير عليه السلام

برز عليّ عليه السلام يوم الجمل ونادىٰ بالزبير: يا أبا عبدالله مراراً فخرج الزبير فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما فقال له عليّ عليه السلام : «**إنّما دعوتك لأذكّرك حديثاً قاله لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي فقال لك: أتحبّه قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي فقال: أمّا إنّك ستحاربه وأنت ظالم له**». فاسترجع الزبير وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر ورجع الى صفوفه[1].

---

(١) الطبري: ٢/٤ و ٥٠٩/٥، والكامل: ٢٤٠/٣، والأغاني: ج٨/ص٥٩ / ٦٢، والمسعودي: ٣٧١/٢.

فقال له عبدالله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به! فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر فلا أُحاربه أبداً وإنّي لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبدالله: ما أراك إلّا جبنت عن سيوف بني عبدالمطلب أنّها لسيوف حِداد تحملها فتية أنجاد، فقال الزبير: ويلك اتهيّجني على حربه أما إنّي قد حلفت ألّا أُحاربه.

قال: كفر عن يمينك لا تتحدّث نساء قريش إنّك جبنت وما كنت جباناً. فقال الزبير: غلامي مكحول حرّ كفارة عن يميني. ثم أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر عليّ عليه السلام برمح لا سنان له، فقال عليّ عليه السلام: أفرجوا له فإنّه مخرج، ثم عاد الى أصحابه ثمّ حمل ثانية ثم ثالثة، ثمّ قال لابنه: أجبناً ويلك ترىٰ. فقال: لقد أعذرت.

لما أذكر عليّ عليه السلام الزبير بما أذكره به ورجع الزبير وقال:

نادىٰ عليٌّ بأمر لست أنكره
وكان عمر أبيك الخير منذ حين
فقلت حسبك من عذلٍ أبا حسنٍ
بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

تـــرك الأُمـور التـي تـخشىٰ مـغبّتها
والله أمـــثل فـي الدّنـيا وفـي الدّيـن
فـــاخترت عـــاراً عـلى نـارٍ مـؤججة
أنـىٰ يـقوم لهـا خـلقٌ مـن الطـين[1]

العاقبة والمصير

لمّا انصرف الزبير عـن حـرب عـليّ عليه السلام مـرّ بـوادي السـباع، والأحنف بن قـيس هـناك فـي جـمع مـن بـني تـميم قـد اعـتزل الفريقين، فأخبر بمرور الزبير فقال رافعاً صوته: ما أصنع بـالزبير لفّ غارين من المسلمين حتى أخـذت السـيوف مـنهما مـأخذها انسلّ وتركهم أمّا إنّه لخليق بالقتل قتله الله.

فاتّبعه عمرو بن جرموز وكان فـاتكاً فـلمّا قـرب مـنه وقـف الزبير وقال: ما شأنك؟ قال: جئت لأسئلك عـن أمـر النـاس. قـال الزبير: إنّي تركتهم قياماً في الركب يـضرب بـعضهم وجـه بـعض بالسيف، فسار ابن جرموز معه وكلّ واحد منهما يتّقي الآخر.

---

(١) شـــرح النـــهج: ج ١، ص ٢٣٤، والطـــبري: ٢/٤ و ٥٠٩/٥، والأغـــاني: ٦٠/١٨، وتاريخ المسعودي: ٣٧٢/٢.

فلمّا حضرت الصلاة قال الزبير: يا هذا إنّا نريد أن نصلّي. فقال ابن جرموز وأنا اُريد ذلك. فقال الزبير: فتؤمنّي واُؤمنك قال: نعم فثنىٰ الزبير رجله وأخذ وضوءه، فلمّا قام الى الصلاة شدّ ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه وحثا عليه تراباً يسيراً ورجع الى الأحنف فأخبره.

فقال: والله ما أدري أسأت أم أحسنت أذهب الى عليّ عليه السلام فأخبره فجاء الى عليّ عليه السلام قال للآذن قل له عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه فأدخله. وفي كثير من الروايات انّه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له: **أنت قتلته؟!** قال: نعم. قال: **والله ما كان ابن صفيّة جباناً ولا لئيماً ولكن الحين ومصارع السوء.**

ثم قال: **ناولني سيفه** ، فناوله فهزّه وقال: **سيف طالما جلىٰ به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله.** فقال ابن جرموز الجائزة يا أميرالمؤمنين فقال: **أما إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «بشّر قاتل ابن صفيّة بالنّار»**

فخرج ابن جرموز خائباً وقال:

أتيت عليّاً برأس الزبير
أبغي به عنده الزُلفه

فـــبشّر بـــالنار يـــوم الحســاب

فـــبئست بشـــارة ذي التُـــحفه

فـــــقلت له إنّ قـــتل الزبـــير

لولا رضـــــــاك مـــن الكـــلفه

فـــإن تـــرض ذاك فـمنك الرضـا

وإلّا فـــــدونك لي حـــــلفه

وربّ المـــــحلّين والمـــحرمين

وربّ الجـــــماعة والألفـــــه

لســـيّان عـــندي قـــتل الزبـير

وضـــرطة عـــنزٍ بـذي الجـحفه

ثم خرج ابن جرموز على عليّ عليه السلام مع أهل النـهر فـقتله مـعهم فيمن قتل[1].

طلحة والزبير تحت المجهر

كلّ واحدٍ منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه لا

---

(١) شـرح النـهج لابـن أبـي الحـديد: ج١، ص٢٣٦، والعـقد الفـريد: ٧١/٥، والمسعودي: ٣٧٣/٢.

يمتّان الى الله بحبل، ولا يمدّان إليه بسبب.

كلّ واحدٍ منهما حاملٌ ضبٍّ لصاحبه، وعمّا قليل يكشف قناعه به والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا[١].

أقول: لهذه المشابهة والمماثلة والمشاكلة بين نفسي الرجلين آخىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله بينهما كما آخىٰ بين أبي‌بكر وعمر واختيار عليّاً عليه السلام لنفسه وهذا ما أشار إليه المحبّ الطبري في الرياض النضرة حيث قال: ومن أدلّ دليل على عظم منزلة عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله صنيعه في المؤاخاة فإنّه صلى الله عليه وآله جعل يضمّ الشكل الى الشكل يؤلف بينهما الى أن آخى بين أبي‌بكر وعمر وادّخر عليّاً لنفسه وخصّه بذلك فيالها مفخرة وفضيلة[٢].

أُم المؤمنين عائشة

أبوها أبوبكر وأُمّها أُم رومان، تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بسنتين بعد وفاة خديجة رضوان الله عليها بنت سبع سنين

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، خطبة ١٤٨، ج٩، ص١٠٩.

(٢) تجد هذه المؤاخاة في سيرة ابن هشام من الروض الأنف: ٣٣٧/٤، وكنز العمال: ٧٢/٩، والمعيار والموازنة: ٢٠٨.

وبنىٰ عليها بالمدينة وهي بنت تسع سنين وعشرة أشهر.

وتوفّي رسول الله ﷺ عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، كما في الاستيعاب لأبي عمر بن عبدالبرّ: إنّ رسول الله ﷺ توفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، فكان سنّها معه تسع سنين ولم ينكح بكراً غيرها، واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية فقال لها: اكتني **بابنك عبدالله بن الزبير** ـ يعني ابن ختها ـ فكانت كنيتها أُم عبدالله.

وتوفّيت في سنة سبع وخمسين للهجرة وعمرها أربع وستّون سنة، ودفنت بالبقيع في ملك معاوية وصلّى عليها المسلمون ليلاً وأمّهم أبوهريرة وذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة.

عائشة مع عثمان[1]

يقول ابن أبي الحديد في ج٦، ص٢١٥: قال كلّ من صنّف في السير والأخبار أنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتى انّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها

---

(١) السقيفة لأبي بكر الجوهري، ص٨٠، والعقد الفريد: ٥ / ٤٦، والسيرة الحلبيّة: ٢٨٦/٣، وابن شبّة في تاريخ المدينة: ١١٧١/٤ ـ ١١٧٤.

وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلىٰ سنّته.

قالوا: أوّل من سمّىٰ عثمان نعثلاً عائشة والنعثل الكثير شعر اللحية والجسد وكانت تقول اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً.

ويقول أيضاً في ص٢١٦: قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: وقد رُوي من طرق مختلفة أنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة قالت: أبعده الله ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد.

قال: وروي من طرق أُخرىٰ انّها قالت لمّا بلغها قتله: أبعده الله قتله ذنبه وأقاده الله بعمله يا معشر قريش! لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه أن أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع[1]، فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت: تعِسوا تعِسوا لا يردون الأمر في تيمٍ أبداً.

وفي تاريخ الطبري يقول عثمان لابن عبّاس: رأيت أنّ أُولّيك أمر الموسم. وكتب معه الى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحقّ ممّن حصره.

فخرج ابن عبّاس فمرّ بعائشة في الصُلصُل، فقالت: يابن عبّاس

---

(١) ذو الإصبع: طلحة بن عبيدالله.

أُنشدك الله ـ فإنّك قد أُعطيت لساناً إزعيلاً ـ أن تخذّل عن هذا الرجل وان تشكّك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وانهجرت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُم.

وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يَل يسير بسيرة ابن عمّه أبي بكر.

قالت: قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا الى صاحبنا.

فقالت: ايهاً عنك! إنّي لست أُريد مكابرتك ولا مجادلتك[1].

قال أبوالفرج: وحدثني أحمد قال: حدثنا عمر قال: حدثني المدائني عن الوقاصي، عن الزهري قال: خرج رهط من أهل الكوفة الى عثمان في أمر الوليد فقال: أكلّما غضب رجل على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكلنّ بكم.

فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتها وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال: أما يجد فسّاق العراق ومراقها ملجأً إلّا بيت عائشة.

فسمعت، فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت: تركت سنّة

---

(١) الطبري: ٤/٤٠٧.

صاحب هذا النعل.

وتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد فمن قائل: قد أحسنت، ومن قائل: ما للنّساء ولهذا! حتى تخاصموا وتضاربوا بالنعال.

ودخل رهط من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان فقالوا له: اتّق الله ولا تعطل الحدود، واعزل أخاك عنهم، ففعل[1].

أخطأت في الثالث

وأقبل غلام من جهينة على محمّد بن طلحة وكان محمّد رجلاً عابداً فقال: اخبرني عن قتلة عثمان؟ فقال: نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث؛ ثلث على صاحبة الهودج ـ يعني عائشة ـ ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر ـ يعني طلحة ـ ، وثلث على عليّ بن أبي طالب .

فضحك الغلام وقال: لا أراني على ضلال ولحق بعليّ وقال في ذلك شعراً:

سألت ابن طلحة عن هالكٍ بجوف المدينة لم يقبر

---

(١) الأغاني: ١٤٣/٥، وشرح النهج: ٢٣٢/١٧، والسقيفة: ١٢٢.

فـــقال ثـــلاثةٌ رهـــطٍ هُـــمُ أمـــاتوا ابـــن عـــفّان واستعبر
فثلثٌ على تلك التي في خدرها وثـــلثٌ عـــلى راكب الأحـمر
وثـــلث عـــلى ابـــن أبـي طالبٍ ونـــــحن بـــدويّةٍ قـــرقر
فـقلت صـدقت عـلى الأوّليـن وأخطأت في الثالث الأزهـر[١]

وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بـأخذ ثأره من هؤلاء الثلاثة بقوله:

أين تذهبون وتـتركون ثـأركم عـلى اعـجاز الإبـل ورائكـم؟

- يـعني عـائشة وطـلحة والزبـير - اقـتلوهم ثـمّ ارجـعوا الى منازلكم[٢].

وأقبل جارية بن قدّامة السعدي وقـال: يـا أُمّ المـؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! إنّه قدكان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سـترك وأبحتِ حرمتك! إنّه من رأى قتالك يـرىٰ قـتلك لئـن كـنت أتـيتنا طـائعة فـارجـعي الى مـنزلك، وإن كـنت أتـيتنا مسـتكرهة فاستعيني بالناس.

---

(١) الطـبري: ج ٤، ص ٤٨٢، مـن حـوادث سـنة (٣٦ هـ) وابـن شـبّة فـي تـاريخ المدينة: ١١٧٤/٤.

(٢) الطبري: ٤٥٣/٤، والكامل: ٢٠٩/٣.

وخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله ﷺ وأمّا أنت يا طلحة فوقيت رسول الله بيدك وأرىٰ أُمكما معكما فهل جئتما بنسائكما؟

قال: لا قال: فما أنا منكما في شيء واعتزل وقال في ذلك:

صنتم حلائلكم وقدتم أُمكم
هذا لعمرك قلّة الإنصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها
فهوت تشق البيد بالإيجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها
بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها
هذا المخبر عنهم والكافي[1]

عائشة مع أمير المؤمنين عليه السلام

روى ابن سعد عن عائشة في خبر مرض رسول الله ﷺ أنّها قالت لمّا ثقل رسول الله ﷺ واشتدّ به وجعه خرج وهو بين رجلين

---

(١) الطبري: ٤/٤٦٥، والكامل: ٣/٢١٤.

تخط رجلاه في الأرض بين ابن عبّاس ـ تعني الفضل ـ وبين رجل آخر قال المحدث عنها ـ وهو عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ـ فأخبرت عبدالله بن عبّاس عمّا قالت عائشة فقال لي ابن‌عبّاس: هل تدري من الرجل الذي لم تسمّ عائشة؟ قال: قلت: لا. قال ابن عبّاس : هو عليّ بن أبي‌طالب. ثم قال: إنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير[1] .

وذكره البخاري في صحيحه باب مرض النبيّ ووفاته، وحذف قول ابن عبّاس أنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير، أداءً للأمانة في النقل ولا يسعنا إلّا الدعاء بأن يحشره الله مع أُمّ المؤمنين عائشة فإنّه من أبنائها البارّين.

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة: ج٦، ص١١٣ من مسنده عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في عليّ وفي عمّار عند عائشة فقالت: أما عليّ فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: **لا يُخيّر بين اثنين أمرّين إلّا اختار أشدّهما.**

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٥٩/٢، ٣٦٥، وتاريخ الطبري: ١٨٩/٣، والروض الأنِف: ٤٣٣/٤.

يقول ابن أبي الحديد في ج٦، ص ٢١٥: وقال أبـو مخنف لوط ابن يحيى الأزدي في كتابه: إنّ عائشة لمّا بلغها قتل عـثمان وهـي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الإصـبع لله أبـوك أمـا انّـهم وجدوا طلحة لها كفواً فلمّا انتهت الى شراف اسـتقبلها عـبيد ابـن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عـثمان، قـالت: ثـم ماذا؟ قال: ثمّ دارت بهم الأُمور الى خير محاور بايعوا عليّاً فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا ويحك أُنظر مـا تقول؟ قال: هو ما قلت لكِ يا أُم المؤمنين فولولت فـقال لهـا: مـا شأنك يا أُم المؤمنين والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولىٰ بها مـنه ولا أحـقّ ولا أرىٰ له نـظيراً فـي جـميع حـالاته فـلماذا تكـرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جواباً.

وفي تاريخ الطبري فقال لها:

فـمنكِ البـداء ومـنكِ الغـيَرْ ومـنك الريـاح ومـنكِ المـطر
وأنت أمـرت بـقتل الإمـام وقـلتِ لنـا إنّـه قـد كـفر
فـهبنا أطـعناكِ فـي قـتله وقـاتِلُهُ عـندنا مَـن أمـر
ولم يسـقط السـقُ مـن فـوقنا ولم تـنكشف شـمسنا والقـمر
وقـد بـايع النـاس ذا تـدْرأً يـزيل الشـبا ويـقيم الصّـعر

ويـلبس للـحرب وأثـوابـها وما مَن وفىٰ مثل مَن قـد غـدر

فانصرفت الى مكّة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فستّرت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيّها الناس إنّ عثمان قُتل مظلوماً، ووالله لأطلبنّ بدمه[١].

غناء وضرب بالدفوف

ولما نزل عليّ عليه السلام ذا قار، كتبت عائشة الى حفصة بنت عـمر: «أمّا بعد فإني أُخبرك أنّ عليّاً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خـائفاً لِما بلغه من عُدتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إنّ تقدّم عُـقر وإن تأخّر نحر».

فـدعت حـفصة جـواري لهـا يـتغنّين ويـضربن بـالدفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهن:

مـــا الخـبر مـا الخـبر عـــليّ فـــي الســـفر

كـــالفرس الأشـــقر إنّ تـــقدّم عـــقر

وإن تأخّر نحر

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٥٩، وابن الأثير في الكامل: ٢٠٦/٣.

وجعلت بنات الطُلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء فبلغ أُم كلثوم بنت عليّ عليه السلام فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في نسوة متنكرات ثمّ أسفرت عن وجهها فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أُمّ كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل[1].

فقالت حفصة: كفي رحمك الله وأمرت بالكتاب فمُزِّق واستغفرت الله، قال أبومخنف: روىٰ هذا جرير بن يزيد عن الحكم ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري وذكر الواقدي مثل ذلك وذكر المدائني أيضاً مثله قال: فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار:

عذرنا الرجال بحرب الرجال ... فما للنساء وما للسِّباب
أما حسبنا ما أتينا به ... لكِ الخير من هتك ذاك الحجاب
ومخرجها اليوم من بيتها ... يعرفها الذنب نبحُ الكلاب
الى أن أتانا كتابٌ لها ... مشؤمٌ فيا قبح ذلك الكتاب[2]

---

(١) إشارة الى الآيات (٢ ـ ٥) من سورة التحريم.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ١٣.

سجدة الشّكر

روىٰ أبو الفرج الاصفهاني في مقتل الإمام علي عليه السلام في كتابه (مقاتل الطالبيين):

«لمّا أن جاء عائشة قتل الإمام عليّ سجدت» أي سجدت شكراً لله.

وروى الطبري[1] وأبوالفرج وابن سعد وابن الأثير قالوا: لمّا أتى عائشة نعي عليّ عليه السلام قالت:

فألقت عصاها واستقرّت بها النّوىٰ

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثمّ قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التّراب

فقالت زينب بنت أُم سلمة: ألعليّ تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني. ﴿ولا يسمع الصّمُّ الدّعاء إذا ما ينذرون﴾[2].

---

(١) الطبري: ١٥٠/٥، والكامل: ٣٩٤/٣، والطبقات: ٢٣/٣، والموفقيات: ١٣١.

(٢) الأنبياء: ٤٥.

ابتداء الغدر والنكث

لما بويع عليّ عليه السلام كتب الى معاوية:

«أمّا بعد فإنّ الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع؛ فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إليّ أشراف أهل الشام قِبَلك».

فلمّا قدم رسوله على معاوية وقرأ كتابه بعث رجلاً من بني عُميس وكتب معه كتاباً الى الزبير بن العوام وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله بن الزبير أميرالمؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك أمّا بعد فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس الى ذلك وليكن منكما الجِد والتشمير أظفركما الله وخذل مناوِئكما».

فلمّا وصل هذا الكتاب الى الزبير سُرّ به وأعلم به طلحة وأقرأه إيّاه فلم يشكّا في النّصح لهما من قِبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ عليه السلام .

جاء الزبير وطلحة الى عليّ عليه السلام بعد البيعة بأيّام فقالا له: يا أميرالمؤمنين قد رأيت ماكنّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلّها، وعلمت رأي عثمان، كان في بني أُميّة، وقد ولّاك الله الخلافة من بعده فولّنا بعض أعمالك. فقال لهما: «**ارضيا بقسم الله لكما حتّى أرىٰ رأيي واعلما أنّي لا أشرك في أمانتي إلّا من أرضىٰ بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيلته**».

فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس[1].

دخل الزبير وطلحة على عليّ عليه السلام فاستأذناه في العمرة، فقال: «**ما العمرة تريدان**، فحلفا له بالله انّهما لا يريدان غير العمرة. فقال لهما: **ما العمرة تريدان، وانّما تريدان الغدرة ونكث البيعة**، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان وما رأيهما غير العمرة. قال لهما: **فأعيدا البيعة لي ثانية**، فأعاداها البيعة لي ثانية فأعادها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما».

فلمّا خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً: «**والله لا ترونهما إلاّ في فتنة يقتلان فيها**» قالوا: يا أميرالمؤمنين فمر بردهما عليك؟ قال: **ليقضى الله أمراً كان مفعولاً**.

---

(١) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣١.

لمّا خرج الزبير وطلحة من المدينة الى مكّة لم يلقيا أحداً إلّا وقالا له: ليس لعليّ في أعناقنا بيعة، وإنّما بايعناه مكرهين، فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما فقال: «**أبعدهما الله وأغرب دارهما أما والله علمت انّهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان، ولقد أتياني بوجهي فاجرين ورجعا بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلقياني بعد اليوم إلّا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبعداً لهما وسحقاً**»[1].

وتحرّك الناكثون

كتب طلحة والزبير الى عائشة وهي بمكة كتاباً: ان خذّلي الناس عن بيعة عليّ واظهري الطلب بدم عثمان وحمّلا الكتاب مع ابن اُختها عبدالله بن الزبير فلمّا قرأت الكتاب كاشفت واظهرت الطلب دم عثمان وكانت اُمّ سلمى رضي الله عنها بمكّة في ذلك العام، قال أبومخنف: جاءت عائشة الى اُمّ سلمة تُخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي اُميّة، أنت أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك وكان

---

(١) شرح النهج: ج ١، ص ٢٣٢.

جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك فقالت أُم سلمة: لأمرٍ ما قلتِ هذه المقالة. فقالت عائشة: إنّ عبدالله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان، فلمّا تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت على الخروج الى البصرة ومعي الزبير وطلحة، فاخرجي معنا، لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا.

قالت أُمّ سلمة: إنّك كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلّا نعثلاً وإنّك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ أفأذكرك. قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه، حتى إذا هبط من قُديد ذات الشمال، خلا بعلي يناجيه فأطال فأردتِ أن تهجمي عليهما فنهيتكِ فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثتِ أن رجعت باكية فقلت: ما شأنك؟ فقلتِ: انّي هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلّا يوم من تسعة أيّام أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي. فأقبل رسول الله ﷺ عليّ وهو غضبان محمرّ الوجه فقال: **«ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارج من الإيمان»**. فرجعت نادمة ساقطة. قالت عائشة : نعم أذكر ذلك. قالت: واذكركِ أيضاً، كنت أنا

وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيسُ له حيساً وكان الحيس يعجبه فرفع رأسه وقال ﷺ: «**يا ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط**» فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك. ثم ضرب على ظهرك وقال: «**ايّاك أن تكونيها**» ثم قال: «**يا بنت أبي أُمية ايّاك أن تكونيها يا حميراء**» امّا أنا فقد انذرتك. قالت: عائشة نعم أذكر هذا.

قالت: وأذكّرك أيضاً كنت أنا وأنتِ مع رسول الله ﷺ في سفرٍ له وكان عليّ يتعاهد نعليّ رسول الله ﷺ فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد في ظلّ سمرة وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا الى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أراد.

ثم قالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً فقال لهما: «**أما انّي قد أرىٰ مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران**».

فسكتا ثم خرجا فلمّا خرجنا الى رسول الله ﷺ قلت له، وكنتِ أجرأ عليه منّا : من كنت يا رسول الله مُستخلفاً عليهم؟ فقال ﷺ :

خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلّا عليّاً فقلت: يا رسول الله ما أرىٰ إلّا عليّاً فقال: هو ذاك، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنّما أخرج للإصلاح بين النّاس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله. فقالت: أنتِ ورأيك فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أُمّ سلمة بما قالت وقيل لها الى عليّ عليه السلام[1].

شتان ما بين الموقفين

يقول ابن أبي الحديد في ج٦، ص٢١٩: وروى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل: إنّ أُم سلمة كتبت الى عليّ عليه السلام من مكّة:

أمّا بعد، فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة الى البصرة ومعهم عبدالله بن عامر بن كُريز ويذكرون أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوّته ولولا ما نهانها الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكنّي باعثة نحوك

---

(١) شرح النهج: ج٦، ص٢١٦ ـ ٢١٨، والمعيار الموازنة: ٢٧ ـ ٢٩.

ابني عَدْل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوصِ به خيراً[١] .

لما عزمت عائشة على الخروج الى البصرة طلبوا لها بعيراً أيداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أُميّة ببعيره المسمّى عسكراً وكان عظيم الخلق شديداً فلمّا رأته أعجبها وأنشأ الجمّال يحدثها بقوّته وشدته ويقول في أثناء كلامه: «عسكر» فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردّوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سُئلت أنّ رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه فأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغُيِّر بجلالٍ غير جلاله وقيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ قوّة وأتيت به فرضيت!!

ثم قال ابن أبي الحديد: قال أبومخنف: وأرسلت الى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فأتى أُخته فعزم عليها فأقامت وحطّت الرحال بعدما همّت[٢] .

حفصة وعائشة نضال مشترك

أسرّ النبي ﷺ حديثاً لأُمّ المؤمنين حفصة بنت عمر وبحكم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥١، المعيار والموازنة: ٣٠.

(٢) شرح النهج: ج٦، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥، والطبري: ٤/٤٥٤.

العلاقة الزوجية والثقة المتبادلة وانّها شريكة الحياة والهموم ما كان يخطر على باله انّها تفشي وتكشف عن سرّه وأن من عادات العرب حفظ الأسرار ولو أدّى الى الأضرار، لكن أُمّ المؤمنين حفصة سارعت الى أُمّ المؤمنين عائشة، واخبرتها بما قال الرسول وهكذا انتشر وظهر ما أسرّه سيّد البشر فنزلت الآيات في شأن هذه القضيّة تقول: ﴿**وإذ أسرّ النبيُّ الى بعض أزواجهِ حديثاً فلمّا نبّأتْ بهِ وأظهرهُ الله عليه عَرَّف بعضهُ وأعرضَ عن بعض فلمّا نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير* إنّ تَتُوبا الى الله فقد صغت قُلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولٰيه وجبريل وصٰالح المؤمنينَ والملائكة بعد ذلك ظهير**﴾[1] .

فكلّها تهديد ووعيد وإنكار شديد وكلام غليظ وما هو إلّا تعبير عمّا في نفس رسول الله من لوعة وألمّ بسبب إفضاء السرّ .

فنرى الموقف الموحد والنضال المشترك المعبّر عنه في الآية بالتظاهر، فعلى هذا لا يصحّ خبر، أو أثر ومن السذاجة والبلادة أن ينقل الناقل أن يقول القائل أنّ رسول الله كان يميل الى عائشة أو أنّ عائشة قالت : أني أحبّ نساءه إليه لا سيّما على قول القائل حسبنا كتاب الله فهذا النقل أو القول لا ينسجم مع

---

(١) التحريم: ٣ ـ ٤.

هذه الآيات.

ثم أن الطبيعة البشرية تقضي بذلك فإن الرجل يفر وينفر من هكذا زوجة هي مصدر قلقه وانزعاجه فما يروىٰ من مدح وثناء واطراء يذوب وينصهر أمام آيات الله الحميد، ولو كان من صخر وحديد فكيف إذا كان كفضل الثريد.

كلاب الحوأب

يقول ابن أبي الحديد في ج٩، ص ٣١٠: وروى أبو مخنف قال: حدثنا إسماعيل بن خالد عن قيس ابن أبي حازم. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس. وروى حرين بن يزيد عن عامر الشعبي وروى محمد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعاً:

لمّا خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها فلمّا سمعت عائشة ذكر الحوأب، قالت: أهذا ماء الحوأب؟[1] قالوا: نعم، فقالت: ردّوني ردّوني، فسألوها ما شأنها ما

---

(١) الطبري: ٤/٤٥٧، والكامل: ٣/٢١٠، وكنز العمال: ١١/١٥٠.

بدا لها فقالت: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي**» ثمّ قال لي: «**إياك يا حميراء أن تكونيها**». فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله فإنّا قد جُزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: اعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جُعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه أوّل شهادة زور في الإسلام[1] .

❁ ❁ ❁

ثمّ قال ابن أبي الحديد في ص ٣١١: قال أبو مخنف: وحدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّ الزبير وطلحة أغذا[2] السير بعائشة حتى انتهوا الى حفر أبي موسىٰ الأشعري وهو قريب من البصرة وكتبا الى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل عليّ عليه السلام على البصرة: أن أخلِ لنا دار الإمارة.

فلمّا وصل كتابهما إليه بعث الى الأحنف بن قيس، فقال له: إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله، والناس إليها

---

(١) المسعودي: ٣٦٧/٢، والحلبية: ٢٨٦/٣، والمحاسن للبيهقي: ٤٣.

(٢) الأغذاذ: الاسراع.

سراع كما ترى.

فقال الأحنف: إنّهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان وهم الذين ألّبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه... وأشار على ابن حنيف بالتأهّب والنهوض.

فقال ابن حنيف: الرأي ما رأيت. لكنّني أكره الشرّ وأن أبدأهم به، وأرجوا العافية والسلامة الى أن يأتيني كتاب أميرالمؤمنين ورأيه فأعمل به.

قال: وكتب عليّ الى عثمان بن حنيف لمّا بلغه مشارفة القوم البصرة :

«من عبدالله عليّ أميرالمؤمنين الى عثمان بن حنيف: أمّا بعد فإنّ البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله أشدّ بأساً وأشد تنكيلاً فإذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوا عليه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك وإن أبوا إلّا التمسّك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين».

فلمّا وصل كتاب عليّ عليه السلام الى عثمان أرسل الى أبي الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتى

يأتياه بعلم القوم وما الذي أقدمهم فانطلقا حتى أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم فدخلا على عائشة فنالاها ووعظاها وأذكراها ونشداها الله فقالت لهما: ألقيا طلحة والزبير فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو الناس الى أن يردوا أمر الخلافة شورى فقالا له أنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم وانّك وصاحبك وعائشة كنتم أشدّ الناس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه فأقيدوا من أنفسكم.

وأمّا إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليّاً، طائعين غير مكرهين وأنت يا أبا عبدالله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحدٌ أحقّ بالخلافة منه ولا أولىٰ بها منه وامتنعت من بيعة أبي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول.

فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة فقاما الى طلحة فوجداه أخشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب فانصرفا الى ابن حنيف فأخبراه وقال له أبو الأسود:

يابن حنيف قد أتيت فأنفر وطاعن القوم وجالد واصبر

وأبرز لها مستلئماً وشمّر

فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلنّ وأرم مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا إليه[١].

قال: وأقبل القوم فلمّا انتهوا الى المربد قام رجل من بني جشم فقال: أيها الناس أنّا فلان الجشمي وقد أتاكم هؤلاء القوم فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع، وان كانوا انّما أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولي قتله فاطيعوني، أيها الناس ردّوهم من حيث أقبلوا، فإنّكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصمّاء التي لا تبقي ولا تذر. فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك.

واجتمع أهل البصرة الى المربد حتى ملأوه مشاةً وركباناً فقام طلحة فأشار الى الناس بالسكوت ليخطب، فسكتوا بعد جهدٍ.

فكانت خطبته مدحاً وثناءً واطراءً على عثمان بن عفان وانّه قتل مظلوماً وجئنا نطلب بدمه.

ثم قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحة.

فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما: ألم تبايعا عليّاً

---

(١) شرح النهج: ج٩، ص٣١٣ وفي العقد الفريد: ج٥، ص٦٣ ـ ٧٩ ذكر نبذاً من يوم الجمل.

فيمن بايعه، ففيم بايعتما ثم نكثتما؟ فقالا: ما بايعناه وما لأحدٍ في أعناقنا بيعة، وانّما استكرهنا على بيعته.

ثم اقبلت عائشة على جملها، فنادت بصوت مرتفع: أيّها الناس! أقلوا الكلام واسكتوا، فاسكت الناس لها، فتكلّمت بمثل ما تكلّم به طلحة والزبير في شأن عثمان وجاء في آخر كلامها:

ألا إنّ عثمان قتل مظلوماً، فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان.

فهاج الناس واختلطوا، فمن قائل القول ما قالت ومن قائل يقول: ماهي وهذا الأمر؟ إنّما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط، حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا بالحصىٰ.

ثمّ إنّ الناس تمايزوا فصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عائشة وأصحابها[1].

---

(١) شرح النهج: ٩، ص٣١٤ ـ ٣١٦، والكامل: ج٣ / ٢١١ ـ ٢١٣، والطبري: ٤/٤٦٤.

قال أبو مخنف: فلمّا أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح.

فحمل عليهم حكيم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا الى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها مليّاً حتى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الرابوقة[1] ثم أتوا سبخة دار الرزق، فنزلوها وأتاهما عبدالله بن حكيم التميمي لمّا نزلا السبخة بكُتبٍ كانا كتباها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا قال: بلى. قال: فكتبت أمس تدعونا الى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلّا هذه الدنيا، مهلاً.

إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ ما عرض عليك من البيعة، فبايعته طائعاً راضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك.

---

(١) في النسخة: الزابوقة.

فقال: إنّ عليّاً دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه عليَّ لم يتم لي، ثم يغري بي من معه[١] .

ثم أصبحا من غدٍ، فصفّا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً عليه السلام فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم...

الى أن قال: وهل كان أحد أشدّ على عثمان قولاً منكما فشتماه شتماً قبيحاً، وذكرا اُمّه.

فقال للزبير: أما والله لولا صفيّة ومكانها من رسول الله فإنّها أدنتك الى الظل، وأن الأمر بيني وبينك يابن الصعبة ـ يعني طلحة ـ أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما. اللهم إنّي قد أعذرت الى هذين الرجلين.

ثم حمل عليهم، واقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة

---

(١) شرح النهج: ٩، ص٣١٦.

والزبير ومن معهما....

وجاء في آخره: وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذه على نبي من أنبيائه، من عهد وذمّة.

وختم الكتاب: ورجع ابن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكم، فمثكوا كذلك أيّاماً. ثم إنّ طلحة والزبير قالا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلّة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب، فأرسلا الى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف، يدعوانهم الى الطلب بدم عثمان، وخلع علي واخراج ابن حنيف من البصرة. فبايعهم على ذلك الأزد وضبّة وقيس بن عيلان كلّها إلّا الرجل والرجلين من القبيلة.

خرجوا للإصلاح

فلمّا استوثق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر، ومعهما أصحابهما، قد ألبسوهم الدروع، وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأُقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان

ليصلي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير، وقدموا الزبير فجاءت السبابجة ـ وهم الشرط حرس بيت المال ـ فأخرجوا الزبير، وقدموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير، فقدموا الزبير وأخرجوا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلّى بالناس، فلمّا انصرف من صلاته، صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه، بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفهما فلمّا أُسر ضُرب ضرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكلّ شعرة في رأسه ووجهه وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة.

فقالت لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله.

فنادى ابن حنيف: يا عائشة، ويا طلحة ويا زبير، إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة وأُقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم، فلا يُبقي أحداً منكم.

فكفّوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حينف بعيالاتهم وأهلهم

بالمدينة فتركوه[١] .

وأرسلت عائشة الى الزبير أن اُقتل السبابجة فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك.

قال: ذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، ولِيَ ذلك منهم عبدالله ابنه، وهم سبعون رجلاً وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أميرالمؤمنين.

فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

قال أبومخنف: فحدثنا الصقعب بن زهير، قال: كانت السبابجة القتلىٰ يومئذٍ أربعمائة رجل.

قال: وكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أوّل غدر في الإسلام وكان السبابجة أوّل قومٍ ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً. قال: وخيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعليّ، فاختار الرحيل فخلوا سبيله، فلحق بعلي عليه السلام فلمّا رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرداً. فقال علي عليه السلام : **إنّا لله وإنّا إليه راجعون.** قالها ثلاثاً[٢] .

---

(١) الكامل لابن الأثير: ٣/٢١٥.

(٢) شرح النهج: ج٩، ص٣٢٠ ـ ٣٢١، والمسعودي: ٢/٣٦٧، والكامل: ٣/٢١٦، ٢٢٦، وتاريخ الطبري: ٤/٤٦٩، ٤٨٠.

يوم الجمل الأصغر

فلمّا بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج في ثلاثمائة من عبدالقيس مخالفاً لهم ومنابذاً، فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جَمل، فسمّي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم عليعليه السلام يوم الجمل الأكبر.

وتجالد الفريقان بالسيوف، فشدّ رجل من الأزد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزدي عن فرسه، فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه، ثم دبّ إليه فقتله متكئاً عليه، خانقاً له حتى زهقت نفسه فمرّ بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه، وقال: من فعل بك؟ قال: وسادتي فنظر فإذا الأزدي تحته، وكان حكيم شجاعاً مذكوراً.

قال: وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، وقتل أصحابه كلّهم وهم ثلاثمائة من عبدالقيس والقليل منهم من بكر بن وائل.

فلمّا صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف اختلفا في الصلاة وأراد كلّ منهما أن يؤمّ بالناس وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدّمه.

فأصلحت بينهما عائشة، بأن جعلت عبدالله بن الزبير ومحمّدبن طلحة يصليان بالناس، هذا يوماً وهذا يوماً[1].

---

(١) شرح النهج: ص٣٢٢، والمسعودي: ٣٦٧/٢.

رسالة من أُمّ الى ابنها

لمّا نزل عليّ عليه السلام بالبصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان العبدي: من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبيّ صلى الله عليه وآله الى ابنها الخالص زيد بن صوحان[١].

أما بعد فأقم في بيتك وخذِّل الناس عن عليّ وليبلغني عنك ما أحب فإنّك أوثق أهلي عندي والسلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان الى عائشة بنت أبي بكر: أما بعد فإنّ الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمركِ أن تقري في بيتك وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعتِ ما أمرني الله به، فأمركِ عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسلام[٢].

الأمر أمرها

وروى الشعبي عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه أبي بكرة، قال: لمّا أقدم طلحة والزبير البصرة تقلّدت سيفي وأنا أُريد نصرهما،

---

(١) الطبري: ٤/٤٧٦، والكامل: ٣/٢١٦.

(٢) شرح النهج: ج٦، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، والعقد الفريد: ٥/٦٧.

فدخلت على عائشة وإذا هي تأمر وتنهى وإذا الأمر أمرها فذكرت حديثاً كنت سمعته عن رسول الله ﷺ : «لن يفلح قوم تدبّر أمرهم امرأة». فانصرفت واعتزلتهم.

يقول ابن أبي الحديد وقد روى هذا الخبر على صورة أُخرى: «إنّ قوماً يخرجون بعدي في فئتة، رأسها امرأة، لا يفلحون أبداً»[1] .

أعذر من أنذر

لمّا تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي عليه السلام لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح، حتى أحدث إليكم وحتى أحدث إليكم وحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل.

فرمىٰ أصحاب الجمل عسكر عليّ عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضجّ إليه أصحابه، وقالوا: عرقتنا سهامهم يا أميرالمؤمنين وجيء برجل إليه وانّه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قتل، فقال: اللهمّ اشهد، ثم قال: اعذروا الى القوم. فأتي برجلٍ آخر فقيل: وهذا قد قُتل فقال: اللهم اشهد أعذروا الى القوم. ثم أقبل عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ يحمل

---

(١) شرح النهج: ص٢٢٧.

أخاه عبدالرحمن بن بُديل، قد أصابه سهم فقتله، فوضعه بين يدي عليعليه السلام وقال: يا أميرالمؤمنين، هذا أخي قد قُتل.

فعند ذلك استرجع عليّعليه السلام ودعا بدرع رسول اللهصلى الله عليه وآله ذات الفضول فلبسها فتدلت بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله، فحزّم وسطه بعمامة، وتقلّد ذا الفقار ودفع الى ابنه محمّد راية رسول اللهصلى الله عليه وآله السوداء، وتعرف بالعُقاب.

وقال للحسن والحسينعليهما السلام إنّما دفعت الراية الى أخيكما، وتركتكما لمكانكما من رسول اللهصلى الله عليه وآله[1].

مسلم اسم على مسمّى

قال أبومخنف: وطاف عليّعليه السلام على أصحابه وهو يقرأ: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين خَلَوا من قلكم مسّتهم البأساء والضّراء وزلزلوا حتى يقول الرّسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب**﴾[2].

ثم قال: **أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزّ لنا ولكم النصر، وكان لنا**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف: ج٩ ص١١١.

(٢) البقرة: ٢١٤.

ولكم ظهيراً في كل أمر.

ثم رفع مصحفاً بيده فقال: **من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم الى ما فيه، وله الجنة**، فقام غلام اسمه مسلم عليه قباء أبيض، فقال: أنا آخذه، فنظر إليه عليّ عليه السلام وقال: **يا فتى إن أخذته، فإن يدك اليمنى تقطع، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع، ثم تضرب بالسيف حتى تقتل**، فقال: لا صبر لي على ذلك.

فنادى عليّ ثانية: فقام الغلام، وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مراراً، حتى قال الغلام: أنا آخذه، وهذا الذي ذكرت في الله قليل.

فأخذه وانطلق، فلمّا خالطهم ناداهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنىٰ، فتناوله باليسرى فضربه أُخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسيافهم، حتى قتل. فقالت أُم ذريح العبديّة في ذلك:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم ... بمصحفٍ أرسله مولاهم
للعدل والإيمان قد دعاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه ظباهم[1] ... وأُمّهم واقفة تراهم
تأمرهم بالغلي لا تنهاهم[2]

---

(١) ظباهم: سيوفهم.

(٢) الطبري: ٥١١/٤، ٥٢٩، والمسعودي: ٣٧٠/٢، والكامل: ٢٦٢/٣.

فعند ذلك أمر عليّ عليه السلام ولده محمّداً أن يحمل الراية، فحمل وحمل معه الناس، واستحر القتل في الفريقين وقامت الحرب على ساق[١].

وركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكراً في هودج، قد ألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر، ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد[٢].

وأخذت عائشة كفّاً من حصى، فحصبت به أصحاب عليّ عليه السلام وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حُنين، فقال لها قائل: وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمىٰ.

وزحف عليّ عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه: حسن وحسين ومحمّد عليهم السلام ودفع الراية الى محمّد، وقال: **أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل، ولا تقفنّ دونه.**

فتقدّم محمد فرشقته السهام، فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفذ سهامهم، فلم يبق لهم إلّا رشقة أو رشقتان فأنفذ إليه عليّ عليه السلام

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٢/٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٢٧، وتاريخ الطبري: ٥٠٧/٤، والمسعودي: ٣٧٠/٢.

يستحثه ويأمره بالمناجزة، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن، وقال له: **أقدم لا أُمّ لك.** فكان محمد ﷺ إذا ذكر ذلك يبكي ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفاي، والله لا أنسى أبداً.

ثم أدركت عليّاً عليه السلام رقّة على ولده، فتناول الراية منه بيده اليسرىٰ وذو الفقار مشهور في يمنىٰ يديه ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبتيه فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب أحداً منهم، ولا ردّ إليهم بصره وظلّ ينحط ويزأر زئير الأسد، حتى فرق من حوله. وتبادروه وإنّه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يردّ حِواراً.

ثم دفع الراية الى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفرّ من بين يديه وتنحاز عند يمنةً ويسرة حتى خضّب الأرض بدماء القتلىٰ، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبتيه فأعصوصب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنّك إن تصب يذهب الدين، فأمسك ونحن نكفيك فقال: **والله ما أُريد بما ترون إلّا وجه الله**

والدار الآخرة.

ثم قال لمحمد ابنه: **هكذا تصنع يابن الحنفية.** فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أميرالمؤمنين[١].

قال أبومخنف: وحدثنا مسلم الأعور عن حبّة العرني قال: فلما رأى علي عليه السلام انّ الموت عند الجمل وانّه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبّة فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحرّ القتل في بني ضبّة فقتل مهم مقتلة عظيمة وخلص عليّ عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان الى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بجير: **دونك الجمل يا بجير**، فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشدّ منه، فما هو إلّا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب.

واحتملت عائشة بهودجها، فحملت الى دار عبدالله بن خلف، وأمر عليّ عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرّىٰ في الريح وقال: **لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل**، ثم قرأ: ﴿**وانظر الى إلٰهك الذي ظَلْتَ عليه**

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٥٧/١.

عاكفاً لنحرقنّه ثم لننسفنّه في اليمّ نسفاً﴾[١][٢].

بعث عليّ عليه السلام عبدالله بن عبّاس الى عائشة يأمرها بالرحيل الى المدينة، قال: فأتيتها فدخلت عليها، فلم يوضع لي شيئاً أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها، فقعدت عليها.

فقالت: يابن عباس، اخطأت السنّة قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا! فقلت: ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقرّي فيه، ولو كان بيتك ما قعدت على وسادتك إلّا بإذنكِ ثم قلت: إنّ أميرالمؤمنين أرسلني إليك يأمركِ بالرحيل الى المدينة[٣].

يقول ابن أبي الحديد في ج١٧، ص٢٥٤: والذي جرى لها كان خطأ منها، فأي ذنب لأميرالمؤمنين عليه السلام في ذلك ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب وأهل الكوفة، على أن أميرالمؤمنين عليه السلام أكرمها وصانها وعظم من شأنها، ومن أحبّ أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة.

ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به، وشقّت عصا الأُمة عليه ثم

---

(١) طه: ٩٧.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦٦/١.

(٣) شرح النهج: ج٦، ص٢٢٩ باختصار. العقد الفريد: ٧٦/٥ ط العلمية، بيروت، والمسعودي: ٣٧٧/٢.

ظفر بها لقتلها ومزقها إرباً إرباً ولكن عليّاً كان حليماً كريماً.

يقول ابن أبي الحديد: اتفقت الرواة كلّها على انّه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابّة ومملوك ومتاع وعروض، قسّمه بين أصحابه وأنهم قالوا له: أقسم بيننا؛ أهل البصرة نجعلهم رقيقاً فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دمائهم وتحرّم علينا سبيهم.

فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور واغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ولا نصيب لكم في شيء منه فلمّا أكثروا عليه قال: **فأقرعوا على عائشة لأدفعها الى من تصيبه** القرعة، فقالوا: نستغفر الله يا أميرالمؤمنين ثم انصرفوا[١].

عن حذيفة قال: لو حدثتكم أن اُمّكم تغزوكم لتصدقوني؟ قال: أوحقٌّ ذلك؟ قال: حقّ[٢].

وقال: أرايتكم لو حدثتكم أن اُمّكم تخرج في فرقة من المسلمين وتقاتلكم صدقتموني؟ قالوا: سبحان الله! ويكون هذا[٣].

---

(١) شرح النهج: ١/ ٢٥٠، وكنز العمال: ١١/ ١٥٠.

(٢) كنز العمال: ١١/ ١٥٠ / ١٥٤ ح ٣١٦٦٣.

(٣) كنز العمال: ١١/ ١٥٤ ح ٣١٦٩٠.

وفي الطبري عن أبي رجاء قال: رأيت رجلاً قد اصطلمت أُذنه، قلت: أخلقة أم شيء أصابك؟ قال: أحدّثك بينا أنا أمشي بين القتلىٰ يوم الجمل فإذا رجل يفحص برجله وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت اُمّنا فلم ننصرف إلّا ونحن رِواءُ
أطعنا قريشاً ضلّةً من حلومنا ونصرتنا أهل الحجاز عناءُ

قلت: يا عبدالله قل: لا إله إلّا الله، قال: ادن منّي ولقنّي فإنّ في أُذني وقراً فدنوت منه فقال لي: ممّن أنت؟ قلت: رجل من الكوفة فوثب عليّ فاصطلم أُذني كماترى، ثم قال: إذا لقيت اُمّك فأخبرها أنّ عمير بن الأهلب الضبي فعل بك هذا[١].

يقول ابن أبي الحديد: وقد علمتم ماكان من عائشة في أمره، فلمّا ظفر بها أكرمها وبعث معها الى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّمهنّ بالعمائم وقلّدهنّ بالسيوف، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلمّا وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ وقلن لها: إنّما نحن نسوة[٢].

---

(١) الطبري: ٥٢٤/٤، والمسعودي: ٣٧٩/٢، والكامل: ٢٥٢/٣.

(٢) شرح النهج: ٢٣/١، والمسعودي: ٣٧٩/٢، والعقد الفريد: ٧٦/٥، والطبري: ٥١٠/٤.

كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره

قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر عليّ عليه السلام يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلمّا رأى كثرة ما فيه، قال: غرّي غيري... مراراً.

ثم نظر الى المال وصعّد فيه بصره وصوّب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسّم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحقّ ما نقّص درهماً ولا زاد درهماً، كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستّة آلاف ألف درهم، والنّاس اثنا عشر ألفاً[١].

الإيثار

حبة العرني، قسّم عليّ بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة فقال: يا أميرالمؤمنين كنت شاهداً معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي فاعطني من الفيء شيئاً فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم ولم يصب من الفيء شيئاً[٢].

---

(١) شرح النهج: ١ /٢٤، وتاريخ الطبري: ٥٤١/٤، والمسعودي: ٣٨٠/٢.

(٢) شرح النهج: ٢٥٠/١، والمسعودي: ٣٨٠/٢.

من خطبة لعليّ في قادة الجمل

فخرجوا يجرون حرمة رسول الله ﷺ كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجّهين بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله ﷺ لهما ولغيرهما في جيش ما منهم إلّا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً[١].

صدق رسول الله ﷺ

قام النبيّ ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان[٢].

وفي صحيح مسلم: خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: رأس الفتنة الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان.

الى هنا ننهي الكلام بفضل الملك العلّام حول الناكثين لبيعة الإمام أصحاب الجمل الذين قادهم الهوىٰ والأمل ورجعوا بالخيبة والفشل ثم يأتي الحديث عن الطائفة الثانية التي قادها معاوية

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٧٢.

(٢) البخاري: في باب ما جاء في بيوت أزواج النبيّ.

وعمرو فأورداها النار الحامية ـ أعني القاسطين ـ كما سمّاهم سيّد المرسلين عليه صلوات المصلين وعلى آله الطاهرين والحمدلله ربّ العالمين.

القاسطون

كما سماهم رسول الله ﷺ وهو بمعنى الجور والعدول عن الحقّ ومنه قوله تعالى: ﴿**وأمّا القاسطون فكانوا لجنّهم حطباً**﴾، وكذلك سمّاهم ﷺ الفئة الباغية لأنها بغت على الإمام عليه السلام واعتدت وتعدّت وسمّيت فيما بعد وقعة صفين أو معركة صفين.

يقول ابن أبي الحديد في شرحه على النهج: ج ١، ص ٢٠١، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صفين وسمّاهم رسول الله ﷺ القاسطين وأشرنا نحن بقولنا سمّاهم رسول الله القاسطين الى قوله: «**ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين**» وهذا الخبر من دلائل نبوّته صلوات الله عليه لأنه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الأخبار المجملة الى أن يقول:

وأما أصحاب صفين فإنّهم عند أصحابنا مخلدون في النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالى: ﴿**وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً**﴾ .

الدعوة الى البيعة والطاعة

بعد وقعة الجمل رجع أميرالمؤمنين الى الكوفة وأرسل عدّة كتب ورسائل الى معاوية يدعوه بها الى الطاعة والبيعة لكن معاوية أبىٰ واستكبر وطغىٰ وتجبّر واستنفر أهل الشام ودعاهم الى نفسه والى الطلب بدم عثمان وأرسل الكتب بذلك يذكر فيها مظلومية عثمان وانّه صاحب ثأره ودمه.

فكان ممّا أجاب به أميرالمؤمنين كما في شرح النهج: ج٣، ص٧٦: «**قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان.**

واعلم إنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورىٰ وقد أرسلت إليك والى من قبلك جرير بن عبدالله البجلي وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوّة إلّا بالله».

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال لجرير بن عبدالله: انظر وتنظر واستطلع رأي أهل الشام.

فمضت أيام فأمر معاوية منادياً ينادي: الصلاة جامعة فلمّا

اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فيهم الى أن قال:

أيها الناس قد علمتم أني خليفة أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب، وخليفة أميرالمؤمنين عثمان بن عفّان عليكم وأني لم أقم رجلاً منكم على خزاية قط وأنّي وليُ عثمان وقد قتل مظلوماً والله تعالى يقول: ﴿**ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً**﴾ وأنا أحبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا الى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله[1].

شراء الدين والضمائر

وذهبت بمعاوية أفكاره كلّ مذهب وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب حتى كلّم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثّقوا له وأحبّ الزيادة في الاستظهار فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال له: استعن بعمرو بن العاص فإنّه من قد

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٣، ص٧٨، والعقد الفريد: ٨٠/٥، والكامل: ٢٧٦/٣.

علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إلّا أن يثمن له دينه فسيتبعك فإنّه صاحب دنيا[١].

فلمّا سمع معاوية قول عتبة أرسل الى عمرو فأعطاه مصر فقال عمرو: لي الله عليك بذلك شاهد، قال: نعم لك الله عليّ بذلك أن فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو: والله على ما نقول وكيل.

فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة، قالا : وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.

وكتب معاوية له بمصر كتابه وكتب: «على أن لا ينقض شرطٌ طاعةً» فكتب عمرو «على أن لاتنقض طاعة شرطاً» فكايد كلّ واحد منهما صاحبه[٢].

فلمّا كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى في عليّ؟ قال: إنّه قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق ومن عند خير الناس في أنفس الناس ودعواك أهل الشام الى ردّ هذه البيعة خطر شديد ورأس أهل الشام شرحبيل بين السمط الكندي وهو عدو لجرير

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢/ ٦١، والطبري: ٤/١٦١ و٥/٩٨، والمسعودي: ٢/٢٦٣، والكامل: ٣/٢٧٦.

(٢) شرح النهج: ٢/ ٦٧، والعقد: ٥/٩٢.

المرسل إليك.

فابعث إليه ووطن له ثقافتك فليفشوا في الناس أنّ علياً قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عند شرحبيل فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحبّ وإن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً.

فكتب الى شرحبيل أن جرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفظع فأقدم[١].

فلمّا قدم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه فلمّا دخل على معاوية تكلّم معاوية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا شرحبيل إن جرير بن عبدالله قدم علينا يدعونا الى بيعة عليّ وعليّ خير الناس لولا انّه قتل عثمان بن عفّان وقد حبست نفسي عليك وإنّما أنا رجل من أهل الشام أرضىٰ ما رضوا وأكره ماكرهوا.

فقال شرحبيل: أخرج فانظر فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له فكلهم أخبره أن عليّاً قتل عثمان فرجع مغضباً الى معاوية فقال: يا معاوية أبى الناس إلّا أن علياً قتل عثمان والله إن بايعت له لنخرجنّك من شامنا أو لنقتلنك.

---

(١) شرح النهج: ٢/ ٧١.

فقال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلّا رجل من أهل الشام قال: فردّ هذا الرجل الى صاحبه إذن.

فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كلّه مع شرحبيل[١].

فلمّا بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم قال: يا جرير إلحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب ابن جُعيل:

أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كارهونا[٢]

قميص عثمان

يقول الطبري: وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضّباً بدمه، وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم، إصبعان منها وشيء من الكف واصبعان مقطوعتان من أُصولهما ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر الى الأجناد وثاب إليه الناس

---

(١) شرح النهج: ٢/٧٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣/٨٧.

وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، وآلى الرجال من أهل الشام إلّا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل ألّا من احتلام ولا يناموا على الفراش حتى يقتلوا قتلة عثمان، فمكثوا حول القميص سنة.

والقميص يوضع كلّ يوم على المنبر ويجلله أحياناً فيلبسه وعلّق في أردانه أصابع نائلة[١].

وقال نصر: فلمّا نزل عليّ عليه السلام النخيلة متوجهاً الى الشام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذٍ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضباً بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تجفّ دموعهم على عثمان، خطبهم وقال:

يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في عليّ وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتكم غيره وهو أمر بقتله وألّب الناس عليه وآوىٰ قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادكم وديياركم لإبادتكم.

يا أهل الشام الله الله في دم عثمان فأنا وليّه وأحقّ من طلب

---

(١) الطبري: ٥٦٢/٤، والكامل: ٢٠٣/٣ / ٢٧٧، والسيرة الحلبية: ٢٨٦/٣.

بدمه وقد جعل الله لولي المقتول ظلماً سلطاناً فانصروا خليفتكم المظلوم فقد صنع القوم به ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغيّاً وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله، ثم نزل.

قال نصر: فأعطوه الطاعة وانقادوا له، وجمع إليه أطرافه واستعدّ للقاء عليّ عليه السلام[1].

❀ ❀ ❀

وسار أميرالمؤمنين عليه السلام لحرب معاوية وحرضّ الناس على ذلك وقصده في مائة من البدريين كما في وقعة صفين لنصر ابن مزاحم ص٢٣٨ وثمانمائة من أهل بيعة الرضوان من بايع رسول الله تحت الشجرة كما في الإصابة لابن حجر واستشهد كثير منهم مع أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام.

ويل للمطفّفين

إذا كان الله سبحانه وتعالى توعد من بخس الناس أشياءهم المادية التافهة من طعام وشراب وغيرهما من الأُمور الدانية

---

(١) شرح النهج: ١٩٦/٣، وكتاب صفين: ١٤٣.

الدنيوية فياترى كيف حال من بخسهم في الأُمور الشريفة العالية وتركهم في حيرة وضلال على مرّ الدهور والأجيال.

فقبل كلّ شيء لابد أن نعرف شيئاً قليلاً مختصراً عن قادة الفئة الباغية القاسطين؛ لأنّه في الوقوف والتعرف عليهم يزول الشك والإرتياب ويعرف مع من الحقّ والصواب.

ولأنّه لا يمكن أن نعدّ التاريخ فترة زمنية انفصلت وتصرّمت فهو شيء منفصل عن حاضر الإنسان ومستقبله، ولذلك ترى القرآن أو الله الذي خلق الإنسان والزمان والأكوان يذكر ما جرى على آدم وبنيه قابيل وهابيل وغيرهم من أولياء الله أو أعداء الله من أنبياء ورسل وفراعنة وطغاة وما جرى في الأُمم السابقة لها أو عليها لأنه يرى أن التاريخ يشكّل عاملاً مهمّاً في بناء حياة الإنسان معاشاً ومعاداً حاضراً ومستقبلاً.

ونخصّ التاريخ الإسلامي بالنسبة لنا لأنّه ترتّب عليه مسألة الإيمان والكفر وعاقبة الإنسان من جنة ونار لأن دراسة التاريخ سبب لمعرفة الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والصحيح من السقيم.

فكثير من عقائد الإنسان سواء في أُصول دينه أم فروعه

تتوقف على دراسة التاريخ، فإذن التاريخ جزء لا ينفصل عن حياة الإنسان ومن الواضح أن التاريخ منتزع من الحدث والحدث صنعه الرجال فبالتالي يكون الحديث عنهم ولا فرق في ذلك بين المحسن والمسيء وسواء في ذلك الصحابي وغيره فلا تغني الصحبة ولا تكون عصمة وكذلك القرابة والزوجية والبنوّة، أُسوتنا وقدوتنا في ذلك هو القرآن، ففي نوح عليه السلام يقول سبحانه: ﴿**ونادى نوح ربّه فقال ربِّ إنّ ابني من أهلي وإن وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين* قال يا نوح إنّه ليس من أهلك أنّه عمل غير صالح**﴾[1] وقال سبحانه وتعالى في شأن أُمّهات المؤمنين امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام: ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع الداخلين**﴾ .

وفي القرابة يقول سبحانه: ﴿**تبت يدا أبي لهب وتبّ**﴾ .

أما ما قيل أو يقال أنّه لابد أن نغضّ النظر عن أُولئك النفر الذين عاشروا وعاشوا وصحبوا النبيّ ﷺ ولا يعلم النوايا إلّا الله ولعلّهم تابوا أو أنّهم اجتهدوا وكلّ إنسان معرّض للخطأ، وأن الراوي يقول أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم أهتديتم.

---

(١) هود: ٤٥ ـ ٤٦.

فهذا كلام ظاهره أنيق لا يصمد أمام التحقيق بل لا يرتضيه حتى الصديق، والواقع الخارجي بخلافه تماماً فكثير منهم كان مصدر ضلال وفساد وفتنة وعناد ومن اقتدى بهم أحلّوه دار البوار والدمار ولم يجتن إلّا العار والشنار وغضب الجبّار.

وكلمة قرأتها أثارت تأسفي وحزني تمدح البخس والتطفيف وانّه عمل شريف واستحسن هكذا تأليف.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٧٥ بعد أن نقل كلام ابن سعد منذ أن بويع لعليّ عليه السلام بالخلافة الى أن هوى في محرابه مخضّباً بدمه ولخص كلّ ذلك في أقل من صفحتين قال:

هذا كلّه كلام ابن سعد، وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره لأنّ هذا هو اللائق بهذا المقام.

وعلّل ذلك بقول الراوي: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقوله: «بحسب أصحابي القتل».

أقول: لا أدري هل الكاتب يكتب لنفسه ولبعض الرجال أم يكتب للأُمّة والتاريخ والأجيال.

أما قادة الفئة الباغية القاسطين فمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص .

معاوية

أحببت أن أنزع اليراع والقلم عن ذكر ترجمة هذا الصنم إذ أنّ تاريخه أشدّ سواداً من الفحم، لكن رأيت من أثنى عليه وقدّسه، وحاول عاجزاً أن يغسل رجزه ودنسه فعاد يعفّر بالتراب يديه لما لمسه، فماكان يخطر على البال، أن طاغوتاً على تلك الحال يمدحه اعورٌ دجّال.

وإذا بي أقرأكلمات، تثني عليه في الحياة والممات، فرأيت أن أترجم له كما ذكر أهل السير، إذ أنّ في تركها شرّ بل ضرر.

ترعرع ونشأ في بيت أبيه صخر بن حرب أبي سفيان الذي قاد قريشاً في حروبها ضد الإسلام.

وورث من أبيه صفاته وأخلاقه الرذيلة فقدكان أبو سفيان ولوعاً بالتنقل بين بيوت الزواني حتى ضرب به المثل فقيل أزنى من صخر[1].

أمّا الأُمّ فهند آكلة الأكباد وهي مثل أبي سفيان يقول ابن أبي الحديد في ج ١، ص٣٣٦: وكانت هند تذكر في مكّة

---

(١) الاستيعاب: ٢٠١، وشرح النهج: ١٨٠/١٦، والعقد الفريد: ٢٦٧/٥، والكامل: ٤٤٤/٣.

بفجور وعُهر.

وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار: كان معاوية يُعزى الى أربعة، الى مسافر بن أبي عمر والى عمارة بن الوليد بن المغيرة، والى العبّاس والى الصباح مغنٍّ كان لعمارة بن الوليد.

وقالوا أن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وإن هنداً كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت الى أجياد فوضعته هناك وفي هذا المعنى يقول حسّان أيّام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح:

لمن الصبي بجانب البطحا في الترب مُلقى غير ذي مهدِ
نجلت به بيضاء آنسةٌ من عبد شمس صلتهُ الخدِ[1]

ومنن كتاب لزياد بن أبيه يجيب معاوية عن تعييره إيّاه بأُمّه سميّة يقول: وأمّا تعييرك لي بسميّة فإن كنت ابن سميّة فأنت ابن جماعة[2].

أقول : إن الإسلام يجبّ عما قبله بل حتى الاستسلام الشكلي الظاهري لكن هم الذين كشفوا عن عوراتهم ببغضهم ولعنهم

---

(١) ربيع الأبرار: ٢٧٦/٤.

(٢) شرح النهج: ١٨٣/١٦.

وسبّهم وشتمهم وحروبهم لعليّ وأبناء عليّ وشيعة عليّ، فهم لا يكترثون بما قيل ويقال فيهم إذا سلمت دنياهم.

عداؤه وبغضه للنبي صلى الله عليه وآله

روىٰ الزبير بن بكار في الموفقيات وهو غير متهم على معاوية ولا منسوب الى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ عليه السلام والانحراف عنه، قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية وكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليَّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه.

إذجاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة وظننت أنّه لأمرٍ حدث فينا.

فقلت: مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: انّك قد بلغت سنّاً يا أميرالمؤمنين فلو اظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت ولو نظرت الى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه وان ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلّا أن يقول قائل أبوبكر.

ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلّا أن يقول قائل عمر:

وأنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات: «أشهد أنّ محمداً رسول الله» فأي عمل يبقى وأي ذكرٍ يدوم بعد هذا لا أباً لك لا والله إلّا دفناً دفناً[١].

وذكر الحفاظ محاورة جرت بين معاوية وبين أمد بن أبد الحضرمي أحد المعمرين قال له معاوية: أرأيت هاشماً؟

قال: نعم والله طوالاً حسن الوجه يقال إنّ بين عينيه بركة.

قال فهل رأيت أُميّة؟ قال: نعم رأيته رجلاً قصيراً أعمى يقال إنّ في وجهه شراً أو شؤماً.

قال: أفرأيت محمداً قال ومن محمد قال: رسول الله قال: أفلا فخمت كما فخّمه الله فقلت: رسول الله[٢].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٢٩/٥، ومروج الذهب: ٤١٤/٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١٠٣/٣، أسد الغابة: ١١٥/١.

همّه الإمرة والرئاسة

روى الأعمش عن عمرو بن مرّة عن سعيد بن سويد، قال: صلّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال: والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا انّكم لتفعلون ذلك وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون[1].

اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً

انّ عمرو بن لعاص أوفد الى معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو: انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلّموا عليه بالخلافة فإنّه أعظم لكم في عينه وصغروه ما استطعتم.

فلمّا قدموا عليه قال معاوية: لحجّابه إني أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمري عند القوم فانظروا إذا دخل الوفد فتعتعوهم أشدّ تعتعة تقدرون عليها فلا يبلغني رجل منهم إلّا وقد همّته نفسه بالتلف.

---

(١) شرح النهج: ٤٦/١٦، وطبقات ابن سعد: ٤٨٨/٨، وأبوالفرج في المقاتل: ٤٥.

فكان أوّل من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط فدخل وقد تعتع فقال: السلام عليك يا رسول الله فتابعه القوم على ذلك فلمّا خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوّة[١].

نصره حيث كان النّصر له

روى البلاذري قال: لمّا أرسل عثمان الى معاوية يستمدّه، بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق، وقال له:

إذا رأيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإني أنا الشاهد وأنت الغائب قال: فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان.

فاستقدمه حينئذٍ معاوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه وإنّما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعو الى نفسه[٢].

---

(١) الطبري: ٥/٣٣٠، والكامل: ٤/١١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦/١٥٤، وفي الطبري: ٤/٣٦٨، والكامل: ٣/١٧٠ يقرب منه.

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٠ قال: واخرج عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي انّه دخل على معاوية فقال له معاوية:

ألست من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكنّي ممّن حضره فلم ينصره، قال: وما منعك من نصره قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار فقال معاوية: أما لقد كان حقّه واجباً عليهم إنّ ينصروه. قال: فما منعك يا أميرالمؤمنين من نصره ومعك أهل الشام. فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبوالطفيل ثم قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا[1]

ضئيل محتقر

أتىٰ وائل بن حجر النبيّ ﷺ فأقطعه أرضاً، وأمر معاوية أن يمضي معه فيريه الأرض ويعرضها عليه ويكتبها له.

فخرج مع وائل في هاجرة شاوية، ومشى خلف ناقته فأحرقته الرمضاء فقال: أردفني قال: لست من أرداف الملوك.

قال: فأدفع إليّ نعليك. قال: ما بخل يمنعني يابن أبي سفيان

---

(١) العقد الفريد: ١١٥/٤، والمسعودي: ٢٥/٣.

ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنّك لبست نعلي.

ولكنّ امشي في ظلّ ناقتي فحسبك بذلك شرفاً[١] .

عمرو بن العاص

فقد شابه معاوية شبهاً كبيراً حتى من جهة الأب والأُم.

فأبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ﷺ والمكاشفين له بالعداوة والأذى وفيه وفي أمثاله وأصحابه أُنزل قوله تعالى: ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾ ويلقّب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غداً ويعني بذلك النبيّ ﷺ فينقطع ذكره لأنّه لم يكن له ﷺ ولد ذكر يُعقب منه فأنزل الله سبحانه: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ .

وأمّا أُمّه التي تلقّب بالنابغة واسمها ليلى أو سلمى يقول الزمخشري في ربيع الأبرار: كانت النابغة أُمّ عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فأشتراها عبدالله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيّاً ثم أعتقها فوقع عليها أبولهب بن عبدالمطلب وأُمية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد.

---

(١) شرح النهج: ١٩/٣٥٣، والبيهقي في المحاسن والمساوي: ٢٠١، والسيرة الحلبية: ٣/٩٠، وربيع الأبرار: ٤/١٧٥، وتاريخ المدينة: ٢/٥٧٩.

فولدت عمراً فادّعاه كلّهم فحكمت اُمّه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذلك لأنّ العاص كان ينفق عليها كثيراً[١].

قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب في عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لاشكّ قد بدت لنا فيك منه بيّنات الشمائل
ففاخر به أما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل[٢]

وروي عن أبي عبيدة مثل ذلك في كتاب الأنساب، أنّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل.

فقيل لتحكم اُمّه فقالت اُمّه: إنّه من العاص بن وائل، فقال أبوسفيان: أما إنّي لا أشكّ أني وضعته في رحم اُمّه فأبت إلّا العاص.

فقيل لها أبو سفيان أشرف نسباً فقالت: إنّ العاص بن وائل كثير النفقة عليَّ وأبو سفيان شحيح[٣].

والى هذا يشير ما ذكره ابن الأثير في الكامل في قضيّة التحكيم حيث أرسل عليّ عليه السلام شريح بن هانئ الحارثي وأوصاه بأن

---

(١) المحاسن والمساوي: ٧٠ و٧٥.

(٢) شرح النهج: ٢٨٢/٦ ـ ٢٨٣ وربيع الأبرار: ٢٧٥/٤، والمحاسن والمساوي للبيهقي: ٧٠ ـ ٧٥.

(٣) شرح النهج: ٦/ ٢٨٥.

يوعظ ويحذر عمرو بن العاص من عاقبة أمره.

فلمّا بلغه تغيّر وجهه ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليّ أو أنتهي الى أمره أو اعتد برأيه.

فقال له: وما يمنعك يابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته؟ فقدكان من هو خير منك أبوبكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه.

فقال له: إنّ مثلي لا يكلّم مثلك. فقال شريح: بأي أبويك ترغب عني يابن النابغة؟ أبأبيك الوشيظ أم بأُمّك النابغة[١][٢].

عمرو بن العاص مع عثمان

فلمّا قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال:

يابن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبتك! إنّما عهدك بالعمل عاماً أوّل أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عنّي بآخر والله لولا

---

(١) ومن أراد الاطلاع على أكثر من ذلك فليرجع الى ج٢ من الغدير: ١٢٢، فإنّه ذكر عدّة مصادر، وفي الطبري: ٣٣٣٥/١ قول عليّ: ٥٤/٥. وهل تشبه إلّا أُمّك التي وضعت بك.

(٢) شرح النهج: ٢٥٤/٢، وتاريخ الطبري: ٧٠/٥، والكامل: ٣٢٩/٥، والعقد: ٩٦/٤، وفي التبيان للجاحظ أبيات في أُمّه: ٥٤٣/٣.

أكلة ما فعلت ذلك... قال والكلام للواقدي:

فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي عليّاً مرّة فيؤلّبه على عثمان ويأتي الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان.

فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتى انتهى الى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفّان.

قال: بينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمّد وعبدالله وسلامة بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة. قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: تركته محصوراً شديد الحصار.

قال عمرو: أنا أبو عبدالله، قد يضرط العيرُ والمكواة في النار، فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل ـ يعني عثمان ـ قال: قُتل. قال: أنا أبوعبدالله إذا حككت قرحة نكأتها.

إن كنت لأحرّض عليه حتى إنّي لأحرّض عليه الراعي في

غنمه في رأس الجبل[١].

خطب عثمان يوماً فصاح به عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان فإنّك قد ركبت اُموراً وركبناها معك، فتب الى الله نتب. فناداه عثمان وإنّك هاهنا يابن النابغة قملت جبتك منذ نزعتك عن العمل، فنودي من ناحية اُخرى تب الى الله. ونودي من اُخرى مثل ذلك. فرفع يديه الى السماء وقال: اللهمّ اني أوّل التائبين ثم نزل[٢].

ما ينطق عن الهوى

عن النبي صلى الله عليه وآله: **«إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص جميعاً ففرقوا بينهما»**[٣].

وفي هذا الكتاب من كنز العمال حديث ٣١٧٢٠ عن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه انّه دخل على معاوية وهو جالس وعمرو ابن العاص على فراشه فجلس شداد بينهما قوال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟ لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«إذا رأيتموهما**

---

(١) الطبري: ٤/ ٣٥٧، وتاريخ المدينة لابن شبة: ١٠٨٩/٣.

(٢) شرح النهج: ١٤٣/٢، وتاريخ الطبري: ٣٦٠/٤.

(٣) كنز العمال: كتاب الفتن: ٨٦/١١ حديث ٣١٢٠١، والعقد الفريد: ٩٣/٥.

جميعاً ففرقوا بينهما»[١] .

وفي مفاخرة بين الحسن بن علي عليهما السلام ورجالات من قريش رواها الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات فقال الحسن عليه السلام: وأمّا أنت يابن العاص فإنّ أمرك مشترك وضعتك أُمّك مجهولاً من عهر وسفاح فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها ألأمهم حسباً واخبثهم منصباً ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل.

وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كلّه وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه الى أهل مكة فلمّا اخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك واشياً جعلت حدّك على صاحبك عُمارة بن الوليد فوشيت به الى النجاشي حسداً لما ارتكب مع حليلتك ففضحك الله وفضح صاحبك.

فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثم انّك تعلم وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون أنّك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «اللهمّ انّي لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهمّ ألعنه بكلّ حرفٍ ألف لعنة» فعليك إذاً من الله ما لا يحصىٰ من اللعن.

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعّرت عليه الدنيا ناراً،

---

(١) رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ج ٢، ص ٢٩٠ وفي كتاب صفين: ص ١١٢.

ثم لحقت بفلسطين فلمّا أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبدالله إذا نكأت قرحة أدميتها.

ثم حبست نفسك عن معاوية وبعت دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضبت له مقتولاً[١].

بطل بعورته يقاتل

تعرض عمرو بن العاص لعليّ عليه السلام يوماً من أيام صفّين، وظنّ أنه يطمع منه في غرّة فيصيبه فحمل عليه عليّ عليه السلام، فلمّا كاد أن يخالطه أذرىٰ نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته. فصرف عليه السلام وجهه عنه وقام معفّراً بالتراب هارباً على رجليه معتصماً بصفوفه فقال أهل العراق: يا أميرالمؤمنين أفلتَ الرجل! فقال: **أتدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنّه عمرو بن العاص، تلقاني بسوءته فصرفت وجهي عنه.**

ورجع عمرو الى معاوية، فقال: ما صنعت يا أبا عبدالله؟ فقال: لقيني عليٌّ فصرعني، قال: أحمد الله وعورتك، والله إنّي لأظنّك لو عرفته لما أقحمت عليه، وقال معاوية في ذلك:

---

(١) شرح النج لابن أبي الحديد: ج٦/٢٩١.

ألا لله مـــن هـفواتِ عـمرو يـعاتبني عـلى تـركي بـرازي
فـقد لاقـىٰ أبـا حسـنٍ عـليّاً فـآب الوائـلي مـآب خـازي
فـلو لم يـبدِ عـورته لطـارت بـــمهجته قـــوادم أي بـازي
فـإن تكـن المـنيّة اخـطأته فـقد غـنّىٰ بـها أهـل الحـجاز

فغضب عمرو وقال: ما أشدّ تعظيمك عليّاً في أمري! هل أنا إلّا رجل لقيه ابن عمّه فصرعه أفترىٰ السماء قاطرة لذلك دماً؟ قال: لا ولكنّها معقبة لك خزياً[١].

أبو موسىٰ الأشعري

هو عـبدالله بـن قـيس وأمّـه امـرأة مـن عك أسـلمت ومـاتت بالمدينة واخـتلف فـي أنّـه هـل هـو مـن مـهاجرة الحـبشة أم لا؟ والصحيح أنه ليس منهم، ولكنّه أسلم ثم رجع الى بلاد قـومه، فـلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشـعريين عـلى رسـول الله ﷺ، فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر ابن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة.

فوافوا رسول الله ﷺ بخيبر فظنّ قوم أن أبـا مـوسى قـدم مـن الحبشة مع جعفر.

---

(١) المـصادر لهـذه البـطولة كـثيرة فـمن أراد الاطـلاع فـليراجـع، الغـدير: ٢/ ١٥٩.

وولّاه رسول الله ﷺ من مخاليف اليمن زبيد، وولّاه عمر البصرة لمّا عزل المغيرة عنها، فلم يزل عليها الى صدر من خلافة عثمان فعزله عثمان عنها، فنزل أبوموسى الكوفة حينئذٍ وسكنها فلمّا كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها، ولّوا أبا موسىٰ وكتبوا الى عثمان يسألونه ان يوليه فأقره على الكوفة.

فلمّا قتل عثمان عزله عليّ عليه السلام فلم يزل واجداً لذلك على عليّ عليه السلام حتى جاء منه ما قال حذيفة فيه، فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره والله يغفر له[1].

قال ابن أبي الحديد بعد نقله لهذا الكلام: قلت: انّ الكلام الذي أشار إليه أبوعمر ابن عبدالبر ولم يذكره هو قول حذيفة في أبي موسى وقد ذكره عنده بالدين:

أمّا أنتم فتقولون ذلك، وأما أنا فاشهد أنّه عدوّ لله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسرّ إليه رسول الله ﷺ أمرهم واعلمه أسمائهم وروى أن عماراً سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس

---

(١) الاستيعاب: ٣٨٠، ٦٥٨ باختصار.

الأسود، ثم كلح كلوحاً علمت منه انّه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط.

وروي عن سويد بن غفلة، قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروىٰ لي خبراً عن رسول الله ﷺ، قال سمعته يقول: «**إنّ بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حكمين ضالين ضلّا وأضلّا من اتّبعهما ولا ينفك أمر أُمّتي حتى يبعثوا حكمين يضلّان ويُضلّان من تبعهما**».

فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ الى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا[1].

أقول: إنّ قول صاحب الاستيعاب؛ فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره، إن كانت هذه الكراهة من باب الورع والتقى فحذيفة أهل أن يكره ذلك ومن قبله رسول الله حيث علمه وأسرّ إليه ما أسرّ إلّا أن يقول صاحب الاستيعاب أنا اتقىٰ وأورع منهما وأتحرّج من ذكر ما ذكراه!

إلّا أن الظاهر أن هذه الكراهة أو النفرة هي من النوع الذي أشار إليها نفس حذيفة ففي كنز العمال عن حذيفة أنّه قيل له: إنّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: الزموا عمّاراً.

---

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب: ٤٠٣/٢، وكنز العمال: ١٩٥/١٢١/١، وابن مردويه في المناقب: ١٦٨، وشرح نهج البلاغة: ٣١٥/١٣.

قيل: انّ عمار لا يفارق عليّاً! قال: إنّ الحسد أهل للجسد وانّما ينفّركم من عمّار قربه من علي، فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وانّ عماراً من الأخيار[١].

فيا حذيفة إنّما كرهوا كلامك ونفروا منه لقربك من عليّ وانتقاصك من عاداه وانحرف عنه.

أبو موسى يثبّط الناس عن نصرة عليّ عليه السلام

كتب عليّ عليه السلام الى أهل الكوفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فإني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقّ وقضى الذي عليه».

فجاء الناس الى أبي موسى يستشيرونه في الخروج، فقال أبوموسى: أمّا سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا، وأنتم أعلم وبلغ المحمدَين قول أبي موسى، فباياه وأغلظا له.

فقال: أما والله إنّ بيعة عثمان في عنقي وعُنق صاحبكما الذي أرسلكما إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة

---

(١) فضائل الصحابة: حديث ٣٧٣٨٢.

عثمان إلّا قُتل حيث كان[١].

فأما رواية محمد بن إسحاق فإنّه قال: لما قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة، استنفرا الناس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً، فقالوا له: أشِر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين الى عليّ عليه السلام.

فقال: أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدنيا فاشخصوا معهما.

فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج، وبلغ ذلك المحمّدين، فأغلظا لأبي موسى فقال أبو موسىٰ: والله، إنّ بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكما، ولو أردنا قتالاً ماكنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قتلة عثمان[٢].

النبيّ يخصّه بالقعود

وأقبل الحسن عليه السلام على أبي موسى، فقال: **يا أبا موسى لم تثبّط الناس عنّا! فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح، ولا مثل أميرالمؤمنين يخاف على شيء.**

فقال: صدقت بأبي أنت وأُمي ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«انّها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم،**

---

(١) الطبري: ٣١٣٩/١، والكامل: ٢٧٧/٣.

(٢) شرح النهج: ٩/١٤.

والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب...».

فغضب عمار وساءه وقام وقال: يا أيّها الناس إنّما قال له خاصة: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً[١].

وفي كنز العمال عن أبي مريم قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: يا أبا موسى أُنشدك الله ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار**»؟

وأنا سائلك عن حديث فإن صدقت وإلّا بعثت عليك من أصحاب رسول الله ﷺ من يقررك به.

أُنشدك الله أليس عناك رسول الله ﷺ أنت نفسك؟ فقال: «**انّها ستكون فتنة بين أُمتي يا أبا موسىٰ أنت فيها نائماً خيرٌ منك قاعداً، وقاعداً خير منك قائماً، وقائماً خير منك ماشياً**»؟

فخصّك رسول الله ﷺ ولم يعمّ الناس، فخرج أبو موسى ولم يردُّ عليه شيئاً[٢].

وقال أبو مخنف: فلما سمع أبوموسى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر، وقال:... الى أن يقول: أما بعد يا أهل الكوفة، إن تطيعوا الله بادياً، وتطيعوني ثانياً، تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المضطرّ ويأمن فيكم الخائف.

---

(١) الطبري: ٣١٤٧/١.

(٢) كنز العمال: حديث ٣١٤٩٥، كتاب الفتن والأهواء، قسم الأفعال.

إنّ علياً إنما يستنفركم لجهاد أُمكم عائشة وطلحة والزبير حواري رسول الله ومن معهم من المسلمين، وأنا أعلم بهذه الفتن إنّها إذا أقبلت شبهت....

وكأني أسمع رسول الله ﷺ بالأمس يذكر الفتن، فيقول: «**أنت فيها نائماً خير منك قاعداً، وأنت فيها جالساً خير منك قائماً، وأنت فيها قائماً خير منك ساعياً**».

فقام إليه عمار بن ياسر، فقال: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك! قال: نعم هذه يدي بما قلت، فقال: إن كنت صادقاً فإنّما عناك وحدك واتّخذ عليك الحجّة، فالتزم بيتك ولا تدخلنّ في الفتنة أما إنّي أشهد أن رسول الله ﷺ أمر علياً بقتال الناكثين، وسمى له فيهم من سمّى، وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأقيمنّ لك شهوداً يشهدون أنّ رسول الله ﷺ إنّما نهاك وحدك وحذّرك من الدخول في الفتنة[١].

غَلَبهُ الغش

إنّ عبد خير الخيواني (الخيراني) قام الى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان ـ يعني طلحة والزبير ـ ممّن بايع علياً؟ قال: نعم، قال: هل أحدث حدثاً يحلّ به نقض بيعته؟

---

(١) شرح النهج: ١٤/ ١٥.

قال: لا أدري، قال لا دريت، إنّا تاركوك حتى تدري.

يا أبا موسى! هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة انّما بقي أربع فرق عليٌّ بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام، وفرقة أُخرى بالحجاز لا يجبى بها فيء ولا يقاتل بها عدوّ فقال له أبوموسى: أُولئك خير الناس، فقال له عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشك[١].

وأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلّا دعاهم ويقول: اتبعوني الى القصر، فانتهى الى القصر في جماعة من الناس فاقتحم القصر فدخله وأبوموسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبّطهم.

يقول: أيها الناس، إنّ هذه فتنة عمياء صمّاء تطأ خطامها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب....

وعمّار يخاطبه والحسن عليه السلام يقول له: **اعتزل عملنا لا أُمّ لك وتنحّ عن منبرنا**، وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

---

(١) الكامل: ٢٢٩/٣، والنهج: ٢٠/١٤، والطبري: ٣١٥٢/١.

فقال أبو موسى: هذه يدي بما قلت، قال له عمّار: غلب الله من غالبه وجاحده[١].

ونقل الطبري عن نصر بن مزاحم بسنده الى أبي مريم الثقفي قال: والله إني لفي المسجد يومئذٍ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون وينادون يا أبا موسى، هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى ودخل القصر، فصاح به الأشتر أُخرج من قصرنا لا أُمّ لكأخرج الله نفسك، فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً، قال: أجلني هذه العشيّة، فقال. هي لك ولا تبيتنّ في القصر الليلة[٢].

أقول: ان ابن الأثير في كتابه الذي سمّاه بالكامل اقتلع وابتلع قول الأشتر لأبي موسى: «فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً».

لأنه يدرك جيداً ماذا تعني هذه الكلمة، فإنّها تعني ما كان يتكلّم به حذيفة بن اليمان كما أسلفنا.

الأشعري في كلام عليّ عليه السلام

ألا إنّ هذين الرجلين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما أحييا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن

---

(١) الطبري: ٣١٥٣/١، وابن أبي الحديد: ٢١/١٤.

(٢) الطبري: ٣١٥٤/١، وابن أبي الحديد: ٢١/١٤.

واتبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة ولا سُنّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين[١].

وروى أبو مخنف، قال: وبعث عليٌّ عبدالله بن عباس ومحمدبن أبي بكر الى أبي موسى وكتب معهما:

من عبدالله علي أميرالمؤمنين الى عبدالله بن قيس، أما بعد يابن الحائك، يا عاض أير أبيه، فوالله انّي كنت لا أرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري والانتزاء عليّ وقد بعثت إليك ابن عباس وابن أبيبكر فخلهما والمصر وأهله واعتزل عملنا مذءوماً مدحوراً فإن فعلت وإلّا فإني قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، فإذا ظهرا عليك قطعاك إرباً إرباً[٢].

قال نصر فكان عليّ عليه السلام بعد الحكومة إذا صلّى الغداة والمغرب، وفرغ من الصلاة قال: اللهمّ الّعن معاوية وعمراً وأبا موسىٰ و...[٣].

---

(١) الطبري: ١/٣٣٦٨، وشرح النهج: ٢/ ٢٥٩، وابن الأثير: ٣/ ٣٣٨، ومروج الذهب: ٢/٤١٣.

(٢) شرح النهج: ١٤/١٠، والطبري: ٤/٥٠٠.

(٣) شرح النهج: ٢/٢٦٠.

ورث البغض لا عن كلالة

يقول ابن أبي الحديد: ومن المبغضين القالين أبو بُردة بن أبي موسى الأشعري، ورث البغضة له لا عن كلاله. أي ورثها عن أبيه.

وقد روى عبدالرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف قال: رأيت أبا بردة قال لأبي العادية الجهني قاتل عمّار بن ياسر: أأنت قتلت عمّار بن ياسر قال: نعم قال: ناولني يدك فقبّلها. وقال: لا تمسّك النار أبداً[١].

قَدِم الشيخ لأُولّيه

يقول الطبري: حدثني أحمد، عن علي، عن جويرية بن أسماء، قال: قدم أبو موسى على معاوية، فدخل عليه في بُرنس أسود، فقال: السلام عليك يا أمين الله قال: وعليك السلام، فلمّا خرج قال معاوية قدم الشيخ لأُولّيه، ولا والله لا أُولّيه[٢].

قال: وحدثني عبدالله بن أحمد، قال: حدثني أبوصالح سليمان ابن صالح قال: حدثني عبدالله بن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال: دخلت على معاوية حيث

---

(١) شرح النهج: ٩٩/٤.

(٢) الطبري: ج ٥، ص ٣٣٢، والكامل: ١٢/٤.

أصابته قرحته، فقال: هلمّ يابن أخي نحوي فانظر، فنظرت فإذا هي قد سُبرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أميرالمؤمنين فدخل يزيد فقال معاوية: إنّ وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا فإنّ أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أني رأيت في القتال ما لم يره[١].

تشابهت قلوبهم

ثم لا يخفى على القارئ الفطن والمتتبّع الرزن وجود التشابه بين هؤلاء الثلاثة أعني ابن هند وابن النابغة والأشعري.

فالقلوب متشابهة والآراء متقاربة، فمما اجتمعوا عليه قديماً وحديثاً بغضهم لعليّ ورفعهم لقميص عثمان زاعمين أنّهم يطلبون بدمه ليثبّطوا ويفرقوا الناس عن عليّ عليه السلام.

فمن الخطأ والغباء والسذاجة أن يقال: إنّ أبا موسى خُدع أو أنه رجل مغفّل فالرجل مارس المهمّة الصعبة التي أُنيطت به من قبل الحركة أو التنظيم ولعب دوراً قد أعد له من قبل، وكما قال ابنه أبوبُردة فيه:

أنا ابن مشتت الإسلام لمّا صُيّر الحكما

---

(١) الطبري: ٣٣٢/٥، وابن سعد: ٣٧٥/٤.

أزلّ عـــــن الورىٰ عـــلما وأنـــصب للـــورىٰ صـــنما
ولم يُـــخدع كـــما زعـــموا ولكـــن كـــان مـــتّهما[١]

من أخبار عليّ في طريقه الى صفّين

قال نصر: حدثنا عبدالعزيز بن سياه بن حبيب عن أبي ثابت قال: حدثنا أبو سعيد التميمي المعروف بعقيصا قال:

كنّا مع عليّ عليه السلام في مسيره الى الشام، حتى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا الى الماء.

فأنطلق بنا عليّ عليه السلام حتى أتى بنا الى صخرة ضرس في الأرض كأنها ربضة عنز فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا من تحتها ماء فشرب الناس منه وارتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه.

وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً قال عليه السلام: **أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟** قالوا: نعم يا أميرالمؤمنين. قال: **فانطلقوا** إليه، فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاة، فاقتصصنا الطريق إليه حتى انتهينا الى المكان الذي نرى أنه فيه فطلبناه فلم نقدر على شيء حتى إذا عِيل علينا انطلقنا الى دَير قريب منّا فسألناهم: أين هذا الماء الذي عندكم؟

قالوا: ليس قربنا ماء، فقلنا: بلى، إنّا شربنا منه. قالوا: أنتم

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة في كتاب الصراط المستقيم: ج٣، ص١٧٧.

شربتم منه! قلنا: نعم، فقال صاحب الدَير: والله ما بُني هذا الدير إلّا لذلك الماء وما استخرجه إلّا نبي أو وصي نبي[١].

الراهب الشهيد

قال نصر: حدثنا عمر بن سعد عن مسلم الملائي عن حبّة العرني قال: لما نزل عليّ الرقّة نزل بموضع يقال له البليخ[٢] على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعليّ عليه السلام:

إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك قال: نعم فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطّر فيما سطر، أنه باعث في الأُميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الله لا فظٌ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح. أُمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشز[٣] وفي كل صعود وهبوط تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح وينصره الله على كل من ناواه فإذا توفاه

---

(١) شرح النهج: ٣/٢٠٤، وصفين: ص ١٤٥.

(٢) البليخ: اسم نهر بالرقّة يجتمع فيه الماء من عيون.. ويتشعّب من ذلك الموضع أنهار تسقي بساتين وقرى ثم تصب في الفرات تحت الرقّة بميل. معجم البلدان.

(٣) النشز: المكان المرتفع، كالنشاز.

الله اختلفت أُمته من بعده ثم اجتمعت فلبثت ما شاء الله ثم اختلفت فيمر رجل من أُمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحقّ ولا يركس في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح والموت أهون عليه من شرب الماء على الضمآن يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية لا يخاف في الله لومة لائم فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة ثم قال له: أنا مصاحبك، فلا أُفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى عليه السلام ثم قال: **الحمدلله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمدلله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.**

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدى مع أميرالمؤمنين ويتعشّى حتى أُصيب يوم صفين.

فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام : **اطلبوه**، فلمّا وجدوه صلّى عليه ودفنه وقال: **هذا منّا أهل البيت.** واستغفر الله له مراراً[1] .

الخلق الكريم

روى نصر: أن عمرو بن العاص قال لمعاوية لمّا ملك أهل

---

(١) شرح النهج: ٢٠٥/٣ و٢٠٦، والمعيار والموازنة: ١٣٤، ومناقب الخوارزمي: ٢٤٢، وكتاب صفين: ١٤٧.

العراق الماء: ما ظنّك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة.

فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنّك بعليّ؟ قال: ظنّي أنه لا يستحلّ منك ما استحللت منه وأن الذي جاء له غير الماء.

قال نصر: فقال أصحاب علي عليه السلام له: امنعهم الماء يا أميرالمؤمنين كما منعوك فقال: **لا خلوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم الى الهدى فإن أجابوا، وإلّا ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله.**

قال: فوالله ما أمسى الناس حتى رووا سُقاهم وسقاة أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدحمن على الماء ما يؤذي إنسان إنساناً[1].

علي مع القرآن

ثم إنّ علياً عليه السلام دعا أصحابه الى أن يذهب واحد منهم بمصحفٍ كان في يده الى أهل الشام، فقال: من يذهب إليهم فيدعوهم الى ما في هذا المصحف فسكت الناس وأقبل فتىً اسمه

---

(١) شرح النهج: ٣٣١/٣ باختصار، والطبري: ٥٧٢/٤، والمسعودي: ٣٨٦/٢، وابن الأثير: ٢٨٤/٣.

سعيد فقال: أنا صاحبه. فأعاد القول ثانية، فسكت الناس، وتقدم الفتىٰ فقال: أنا صاحبه.

فسلّمه إليه فقبضه بيده ثم أتاهم فناشدهم الله ودعاهم الى ما فيه فقتلوه فقال علي عليه السلام لعبد الله بن بديل: **احمل عليهم الآن**[1] .

الإعلام المضلّل والدعاية الممقوتة

إنّ هاشم بن عتبة المرقال مضىٰ في عصابة معه من القرّاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء، فإنّهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان
إنّي أتاني خبر فأشجان أن عليّاً قتل ابن عفّان

ثم يشتدّ فلا ينثني حتّى يضرب بسيفه، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبدالله، إن هذا الكلام بعده الخصام وإنّ هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنّك راجع الى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، قال:

فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي وأنتم لا تصلون أيضاً وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم أردتموه على قتله.

---

(١) شرح النهج: ١٩٦/٥، وصفين: ٢٤٤.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفّان! إنّما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقرّاء الناس حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب وهمّ أهل الدين وأولى بالنظر في أُمور الناس منك ومن أصحابك، وما أظنّ أمر هذه الأُمّة وأمر هذا الدين أهمل طرفة عين.

فقال له: أجل، والله لا أكذب فإن الكذب يضرّ ولا ينفع، فقال له هاشم: إنّ أهل هذا الأمر أعلم به فخله وأهل العلم به.

قال: ما أُظنّك والله إلّا نصحت لي فقال هاشم: وأمّا قولك إن صاحبنا لا يصلي فهو أوّل من صلّى مع رسول الله وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول.

وأمّا كلّ من ترى معي فكلّهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدّاً، فلا يغوينك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبدالله، إنّي أظنّك امرئً صالحاً فتخبرني، هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبدالله، تب الى الله يتب عليك فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحبّ المتطهرين فجشر والله الفتى الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي. قال: لا ولكن نصح لي[1].

---

(١) الطبري: ٣٣٢٤/١، والكامل: ٣١٣/٣.

البدر يحفه البدريون

قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين[١] فقال بعد الحمد والثناء: وقد اختصّنا الله منه بنعمةٍ فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها.

إنّ أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا وفي حيّزنا فوالله الذي هو بالعباد بصير، أن لو كان قائدنا حبشيّاً مجدّعاً إلّا أن معنا من البدريين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا.

فكيف وإنّما رئيسنا ابن عمّ نبيّنا بدريّ صدق صلّى صغيراً وجاهد مع نبيّكم كبيراً. ومعاوية طليق من وثاق الأسارى وابن طليق إلّا أنه اغوىٰ جفاة فأوردهم النار وأورثهم العار والله محلٌّ بهم الذل والصغار[٢].

قال نصر: وقام الأشتر يخطب الناس بقناصرين فبعد أن حمدالله وأثنى عليه قال:

ثم كان ممّا قضى الله سبحانه وقدّر أن ساقتنا المقادير الى أهل البلدة من الأرض فلفت بيننا وبين عدوّ الله وعدوّنا، فنحن بحمد الله ونعمه ومنّه وفضله قريرة أعيننا طيبة أنفسنا نرجو بقتالهم

---

(١) قناصرين: موضع بالشام.

(٢) صفين: ٢٣٦، وشرح النهج: ١٨٩/٥.

حسن الثواب والأمن من العقاب.

معنا ابن عم نبيّنا وسيف من سيوف الله عليّ بن أبي طالب صلّى مع رسول الله ﷺ لم يسبقه الى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم تكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا سقطة، فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل وصبر جميل وعفاف قديم، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد واعلموا أنّكم على الحقّ وأن القوم على الباطل يقاتلون مع معاوية.

وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدري، سوى من حولكم من أصحاب محمّد، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله .

فما يشك في قتال هؤلاء إلّا ميّت القلب، أنتم على إحدى الحسنيين إما الفتح وإمّا الشهادة[1] .

مع ابن هند من لا سابقة له

إنّ معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري وسلمة بن مخلّد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما.

ثم إنّ معاوية سأل النعمان أن يخرج الى قيس فيعاتبه ويسأله

---

(١) شرح النهج: ١٩١/٥، وكتاب صفين: ٢٣٨، وانظر الى مروج الذهب: ٣٦١/٢.

السّلم فخرج النعمان فوقف بين الصفين ونادى: يا قيس بن سعد... .

وتكلّم حول مقتل عثمان وهذه عادة كلّ من خالف وعادى عليّاً يومذاك فضحك قيس وقال: ماكنت أظنّك يا نعمان محتوياً على هذه المقالة: إنّه لا ينصح أخاه من غشّ نفسه وأنت الغاشّ الضالّ المضل أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ منّي واحدة، قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك. وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. وأما معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار وأما قولك: إنّا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله نتّقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون.

ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابياً أو يمانيّاً مستدرجاً بغرور.

انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصارياً غيرك وغير صويحبك، ولستما والله ببدريين ولا عقبيين ولا أُحديين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن[1] .

---

(١) شرح النهج: ٨٨/٨، وصفين: ٤٤٩ باختصار.

الاستبصار على يديّ عمّار

روى نصر بإسناده عن اسماء بن حكيم الفزاري قال: كنّا بصفّين مع عليّ بن أبي طالب تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضحى استظللنا ببردٍ أحمر إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيّكم عمّار بن ياسر، فقال عمار بن ياسر: أنا عمار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم قال: إنّ لي إليك حاجة فانطق بها علانية أو سرّاً قال اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا بل علانية قال: فانطق قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنّهم على الباطل.

فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدّم منادينا فشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً رسول الله ﷺ ونادى بالصلاة فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أُقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة ودعونا دعوةً واحدة وتلوناكتاباً واحداً ورسولنا واحد.

فادركني الشك في ليلتي هذه فبت بليلة لا يعلمها إلّا الله حتى أصبحت فأتيت أميرالمؤمنين فذكرت ذلك له فقال: **هل لقيت عمّار ابن ياسر؟ قلت: لا قال: فألقه فانظر مايقول لك عمّار فاتبعه، فجئتك لذلك.**

قال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي فإنّها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات،

وهـذه الرابـعة مـاهي بـخيرهنّ ولا أبـرّهنّ بـل هـي شـرّهنّ وأفجرهنّ[١] .

أشهدت بدراً واُحداً وحنيناً أو شهدها أب لك فيخبرك عنها.

قال: لا، قال: فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم اُحد ويوم حنين، وإنّ مـراكـز رايـات هـؤلاء عـلى مراكز رايات المشركين من الأحزاب.

هل ترى هذا المعسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع مـن أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته.

والله لدماؤهم جميعاً أحلّ من دم عصفور، أفـترى دم عـصور حراماً؟ قال: لا بل حلال. قال: فإنّهم كذلك حلال دماؤهم أتـرانـي بيّنت لك؟ قال: قد بيّنت لي. قال: فاختر أي ذلك أحببت.

فانصرف الرجل ثم دعاه عمّار فقال: أمـا انـهم سـيضربونكم بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا عـلى حقّ ما أظهروا علينا، والله ماهم من الحقّ على ما يقذىٰ عين ذُباب والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا عـلى الحقّ وأنهم على باطل[٢] .

---

(١) الطبري: ٣٣١٩/١.

(٢) الطـبري: ٣٣١٧/١، وابـن الأثـير: ٣٠٩/٣، صـفين: ٣٢١، وشـرح النـهج: ٢٥٧/٥.

سمّهم بما سماهم الله

روىٰ نصر بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل الى عليعليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحجّ واحد فماذا نسمّيهم؟ قال: سمّهم بما سمّاهم الله في كتابه قال: ماكلّ في كتاب الله أعلمه، قال: أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض الى قوله:... ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ فلمّا وقع الاختلاف، كنّا نحن أولىٰ بالله وبالكتاب وبالنبيّ وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلهم بمشيئته وإرادته[1].

صدق النبيّ المختار في حقّ عمّار

إنّ كثيراً من الصحابة شهدوا صفين مع عليّ أميرالمؤمنين فمن البدريين ما يقرب من مائة ومن أهل بيعة الرضوان ثمانمائة قُتل منهم ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر.

لكن شاع وذاع وظهر واشتهر اسم عمّار من بين أُولئك

---

(١) شرح النهج: ٢٥٨/٥، وكتاب صفين: ٣٢٢، والكامل: ٣٠٨/٢.

الصحابة وذلك لما عُلم من أقوال النبيّ في حقّه كقوله: «**يا عمّار تقتلك الفئة الباغية**» وغيره من أحاديثه صلى الله عليه وآله .

والحكمة في ذلك معلومة لأنّ نبيّ الرحمة والرأفة لا يترك الأُمّة في حيرة واضطراب في مثل هذه الفتن فلابدّ من إتمام الحجّة والبيان كما قال سبحانه وتعالى في حقّه صلى الله عليه وآله : ﴿**عزيز عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[1] .

فالنبيّ صلى الله عليه وآله جعل من عمّار بلاغاً وبياناً وحجّة ودليلاً.

فعلىٰ هذا ليس وجود عمّار الى جنب أميرالمؤمنين هو وجود مقاتل فحسب بل هو وجود داع ومبلّغ ودليل يدعو أهل الحقّ الى نصرة حقّهم ويحذر أهل الباطل من مغبّة الاستمرار على باطلهم فعمّار بمفرده يعادل جيشاً عظيماً.

قال صاحب الاستيعاب: وأسلم عمّار وعبدالله أخوه وياسر أبوهما وسميّة أُمهما، وكان إسلامهم قديماً في أوّل الإسلام فَعُذبوا في الله عذاباً شديداً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمرّ بهم وهم يعذبون فيقول: «**صبراً يا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة**».

فأمّا سميّة فقتلها أبوجهل، طعنها بحربةٍ فماتت، وكانت من الخيرات الفاضلات وهي أوّل شهيدة في الإسلام.

---

(١) التوبة: ١٢٨.

قال أبو عمر: كان عمّار بن ياسر ممّن عذّب في الله ثم أعطاهم ما أرادوا بلسانه واطمأنّ الإيمان بقلبه، فنزل فيه: ﴿**إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾[1]، وهذا ممّا أجمع أهل التفسير.

وهاجر الى أرض الحبشة، وصلّى الى القبلتين وهو من المهاجرين الأوّلين، ثم شهد بدراً والمشاهد كلّها وأبلى بلاءاً حسناً، ثم شهد اليمامة فأبلىٰ فيها أيضاً يومئذٍ وقطعت أُذنه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ عماراً مُلئ إيماناً الى مشاشه**» ويروىٰ الى أخمض قدميه.

وعن عائشة، أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه إلّا قلت، إلّا عمّار بن ياسر فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّه ملئ إيماناً الى أخمص قدميه**».

قال أبو عمر: وقال عبدالرحمن بن أبزي: شهدنا مع عليّ عليه السلام صفين ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان، قُتل منّا ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر.

قال أبو عمر: ومن حديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام : **إنّ عمّاراً جاء يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، فعرف صوته فقال: «مرحباً بالطيّب المطيّب»** يعني عمّاراً ائذنوا له.

---

(١) النحل: ١٠٦.

قال أبوعمر: ومن حديث أنس عن النبي ﷺ: «**اشتاقت الجنّة الى أربعة: علي وعمّار وسلمان وبلال**»[١].

قال أبو عمر: وفضائل عمّار كثيرة جدّاً يطول ذكرها.

قال: وروى الأعمش عن أبي عبدالرحمن السلمي، قال شهدنا مع عليّ عليه السلام صفين، فرأيت عمّار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلّا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه، كأنّه علم لهم.

قال: وقد قال أبو مسعود البدري وطائفة لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة: إذا اختلف الناس فبمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سميّة فإنّه لن يفارق الحقّ حتى يموت أو قال: فإنّه يزول مع الحقّ حيث زال.

قال أبو عمر: وقد روى وكيع عن شعبة عن عبد بن مرّة عن عبدالله بن سلمة قال: لكأني أنظر الى عمّار يوم صفين وهو صريع فاستسقىٰ فأُتي بشربة من لبن فشرب، فقال: اليوم ألقى الأحبّة.

إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ أن آخر شربة أشربها في الدنيا شربة من لبن، ثم استسقى ثانية فأتته امرأة طويلة اليدين بإناء فيه ضياح من لبن فقال حين شربه: الحمدلله الجنّة تحت الأسنّة والله لو

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/١٠٤.

ضربونا يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحقّ وأنّهم على الباطل ثم قاتل حتى قتل.

قال أبو عمر: وتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**تقتل عمّار الفئة الباغية**» وهذا من إخباره بالغيب، وأعلام نبوّته ﷺ وهو من أصحّ الأحاديث[1].

وروىٰ أبو مخنف، أن عمّار بن ياسر خرج الى الناس، فقال: اللهمّ إنّك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنّك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبّة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت.

وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين.

وروي عن حبّة العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود الى حذيفة بالمدائن فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكم، ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إليّ منكما فأسندته الى أبي مسعود، فقلنا: يا أبا عبدالله حدثنا فإنّا نخاف الفتن.

فقال: عليكما بالفتنة التي فيها ابن سميّة، انّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وانّ آخر رزقه ضياح من لبن**».

---

(١) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة: ٤٧٨/٢.

قال حبّة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: أئتوني بآخر رزق لي من الدّنيا فأُتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء فما أخطأ حذيفة مقياس شعره، فقال:

اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه[١]

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص لأبيه: يا أبت قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال! قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وعمّار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين فغشي عليه، فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «**ويحك يابن سميّة، الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبةً منك في الأجر وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية**».

فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يامعاوية! أما تسمع ما يقول عبدالله! قال: وماذا يقول؟ فأخبره الخبر فقال معاوية: إنّك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك! أو نحن قتلنا عمّاراً إنّما قتل عمّار من جاء به[٢].

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: واعجباه من قوم يعتريهم

---

(١) الطبري: ١/٣٣١٧.

(٢) الطبري: ١/٣٣٢١.

الشك في أمرهم لمكان عمّار ولا يعتريهم الشك لمكان عليّ عليه السلام! ويستدلون على أن الحقّ مع أهل العراق بكون عمّار بين أظهرهم ولا يعبئون بمكان عليّ عليه السلام! ويحذرون من قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «**تقتلك الفئة الباغية**» ويرتاعون لذلك. ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام : «**اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه**» ولا لقوله: «**لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق**» .

وهذا يدلك على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلّها من مبدأ الأمر في إخماد ذكره وستر فضائله، وتغطية خصائصه حتى مُحي فضله ومرتبته من صدور الناس كافّة إلّا قليلاً منهم[١] .

ويقول في موضع آخر: ثم أي حاجة لناصري أميرالمؤمنين أن يتكثروا بخزيمة وأبي الهيثم وعمّار وغيرهم! لو أنصف الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا أنّه لو كان وحده، وحاربه الناس كلّهم أجمعون لكان على الحقّ وكانوا على الباطل[٢] .

قال عليّ عليه السلام حين قُتل عمار: **إن إمرئً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ويدخل عليه المصيبة لغير رشيد.**

رحم الله عمّاراً يوم أسلم ورحم الله عمّاراً يوم قتل ورحم الله عمّاراً يوم

---

(١) شرح النهج: ١٧/٨.

(٢) شرح النهج: ١١٠/١.

يبعث حيّاً، لقد رأيت عمّاراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلّا كان رابعاً ولا خمسة إلّا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ يشك أنّ عماراً قد وجبت له الجنّة في غير موطن ولا اثنين فهنيئاً لعمّار بالجنّة، ولقد قيل: أنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار[١] .

وعن عليّ قال: **ذكرت للنبيّ عمّاراً فقال: أمّا إنّه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم وذكرها كثير وثناؤها حسن**[٢] .

قصّة التحكيم

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ الذي دعا إليه طلب أهل الشام له، واعتصامهم به من سيوف أهل العراق.

فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت ودلائل النصر والظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القراع الى الخداع وكان ذلك برأي عمرو بن العاص، وهذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير، وهي الليلة العظيمة التي يضرب بها المثل ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى، فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب الى هوىٰ ولا إدغال وهو من رجال أصحاب الحديث.

---

(١) كنز العمال: حديث ٣٧٤٠٨، فضائل الصحابة حرف العين.

(٢) كنز العمال: ٣٣٥٣/٥، ذكر الصحابة وفضلهم.

قال نصر: حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: سمعت تميم بن حذيم يقول: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباه الرايات، أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف معاوية فلمّا اسفرنا إذ هي المصاحف قد رُبطت في أطراف الرماح وهي عظام مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة أرماح جميعاً وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

قال نصر: وقال أبوجعفر وأبو الطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف، ووضعوا في كلّ مجنبة[١] مائتي مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف.

ثم نادوا: يا معشر العرب الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليّ عليه السلام: **اللهمّ إنّك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بينا وبينهم إنّك أنت الحكم الحقّ المبين.**

فاختلف أصحاب عليّ عليه السلام في الرأي، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة الى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها[٢].

وقال عليّ عليه السلام: **أيّها الناس، انّي أحقّ من أُجاب الى كتاب الله ولكن**

---

(١) المجنبة: ميمنة الجيش وميسرته.

(٢) شرح النهج: ٢/٢١٢، وصفين: ٤٧٨.

معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شرّ صغار وشرّ كبار ويحكم أنّها كلمة حقٍّ يراد بها باطل! إنّهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة.

أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد.

فنادوه باسمه لا بإمرة المسلمين: يا عليّ أجب القوم الى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان[1].

قال نصر: وجاء الأشعث بن قيس الى عليّ عليه السلام، فقال: ياأميرالمؤمنين ما أرىٰ الناس إلّا قد رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم الى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل، قال: فأته إن شئت، فأتاه فسأله: يامعاوية! لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم

---

(١) شرح النهج: ٢/٢١٦، والطبري: ١/٣٣٣٠، وصفين: ٤٨٩.

الى أمر الله به فيها، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به، ونبعث منّا رجلاً، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يعدُوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحقّ.

وانصرف الى عليّ عليه السلام فأخبره فبعث عليّ عليه السلام قرّاءً من أهل العراق، وبعث معاوية قرّاءً من أهل الشام فاجتمعوا بين الصفين، ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوا ورجع كلّ فريق الى صاحبه، فقال أهل الشام: إنّا قد رضينا واخترنا عمروبن العاص، وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري، فقال لهم عليّ عليه السلام : **فإني لا أرضى بأبي موسى ولا أرىٰ أن أولّيه.**

فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القرّاء: إنّا لا نرضىٰ إلّا به فإنّه قدكان حذّرنا ما وقعنا فيه. فقال عليّ عليه السلام : **فإنّه ليس لي برضا وقد فارقني وخذّل الناس عني، وهرب منّي حتى آمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عبّاس أولّيه ذلك.**

قالوا: والله ما نبالي، أكنت أنت أو ابن عبّاس ولا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس الى واحدٍ منكما بأدنى من الآخر، قال عليّ عليه السلام : **فإني أجعل الأشتر**، فقال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا إلّا الأشتر وهل نحن إلّا في حكم الأشتر قال عليّ عليه السلام : وما

حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد[١].

وتكرر صلح الحديبيّة كما قال خير البريّة

قال نصر: فلمّا رضي أهل الشام بعمرو وأهل العراق بأبي موسى، أخذوا في سطر كتاب الموادعة، وكانت صورته:

«هذا ما تقاضىٰ عليه عليّ أميرالمؤمنين ومعاوية ابن أبي سفيان» فقال معاوية بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أميرالمؤمنين ثم قاتلته!

وقال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه إنّما هو أميركم فأما أميرنا فلا. فلمّا أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم أميرالمؤمنين عنك، فإني أتخوّف ان محوتها أن لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها. فقال عليّ عليه السلام: **إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله ﷺ: هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو.** فقال سهيل: لو أعلم انّك رسول الله لم أُقاتلك ولم أُخالفك، أني إذاً لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمّد بن عبدالله.

فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا عليّ إني رسول الله وأنا محمّد بن عبدالله**

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٢٨، والطبري: ١/٣٣٣٣، والكامل: ٣/٣١٩.

ولن يمحو عنّي الرسالة كتابي لهم من محمّد بن عبدالله، فاكتبها وامح ما أراد محوه أما إن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد[١] .

وروى أبو مخنف: لماكتبت الصحيفة دُعي لها الأشتر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة أو لست على بيّنة من أمري، ويقين من ضلالة عدوّي، أولستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الخور.

فقال له الأشعث بن قيس: والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً، هلمّ إلينا فإنّه لا رغبة بك عنّا، فقال: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة ولقد سفك الله عزّ وجلّ بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خيرٌ منهم، ولا أحرم دماً، قال عمار بن ربيعة: فنظرت الى الأشعث فكأنّما قصع على أنفه الحمم[٢] .

وقيل لعليّ عليه السلام لماكتبت الصحيفة: إنّ الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة ولا يرىٰ إلّا قتال القوم.

قال عليّ عليه السلام : **وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلّا**

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٣٢، والكامل: ٣/٣٢٠، وصفين: ٥٠٨، والطبري: ١/٣٣٣٥، ومناقب الخوارزمي: ١٩٣.

(٢) الطبري: ١/٣٣٣٨، شرح النهج: ٢/٢٣٦، الكامل: ٣/٣٢١ وصفين: ٥١١.

أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصحّ الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلّا أن يعصى الله عزّ وجلّ ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله عزّ وجلّ وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أُولئك ولست أخافه على ذلك.

يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرىٰ، إذاً لخفّت عليّ مؤنتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودِكم[١].

مثل الكلب والحمار مسرحيّة جميلة

روى أبو مخنف ونصر: أن عمراً وأبا موسى حين التقيا بدومة الجندل، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام، يقول: إنّك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسنّ مني، فتكلّم وأتكلّم.

فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كلّ شيء، أراد بذلك كلّه أن يقدمه فيبدأ بخلع عليّ.

فقال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورىٰ بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت.

فأقبلا الى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى أعلمهم

---

(١) الطبري: ١/٣٣٤٤، وشرح النهج: ٢/٢٤٠، والكامل: ٣/٣٢١.

بأن رأينا قد اجتمع واتفق فتكلّم أبو موسى فقال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عزّ وجل به أمر هذه الأُمّة. فقال عمرو: صدق وبر يا أبا موسى تقدّم فتكلّم.

فتقدّم أبو موسى ليتكلّم، فقال له ابن عبّاس: ويحك! والله أني لأظنّه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلّم أنت بعده فإن عمراً رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك، فقال له: قد اتفقنا .

فتقدّم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمّة فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمر قد اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية وتستقبل هذه الأُمّة هذا الأمر فيولوا من أحبّوا عليهم.

وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحّىٰ. وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأُثبت صاحبي معاوية فإنّه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه.

فقال أبو موسى: مالك لا وفّقك الله، غدرت وفجرت إنّما مثلك

كمثل الكلب ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ .

قال عمرو: انّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً[١] .

صدق النبيّ صلى الله عليه وآله

عن نصر عن أبي عبدالرحمن قال: حدثني العلاء بن يزيد القرشي، عن جعفر بن محمد قال: دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير، فلمّا رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلّا أن تقطع بيني وبين أميرالمؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله غزا غزوة وأنتما معه، فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث فقال: «**إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما فإنّهما لن يجتمعا على خير**»[٢] .

وبهذا الايجاز والاختصار، وبعون الملك القهّار، نكتفي بما ذكرنا من أخبار، حول الفئة الباغية العاتية، كما نطق النبيّ جهراً

---

(١) الطبري: ٣٣٥٩/١، وشرح النهج: ٢٥٥/٢، وصفين: ٥٤٥، والكامل: ٣٣٣/٣، والمسعودي: ٤١٠/٢.

(٢) صفين: ٢١٨، والعقد الفريد: ٩٣/٥، وكنز العمال: ٨٦/١١.

وعلانية، ممّا جاءت به الآثار الباقية، ثم يأتي الكلام عن الخوارج المارقين، كما سمّاهم سيّد الأنبياء والمرسلين، الذين تلبّسوا بلباس النسك والدين، وأُصلّي وأُسلم على أشرف الأنبياء العظام وعلى آله الطيبين الكرام والحمدلله رب العالمين على أنعمه الجسام.

المارقون

سمّاهم بذلك رسول الله ﷺ، والأخبار كثيرة متظافرة مستفيضة متواترة، وهي من الدلائل الباهرة.

ونحن نذكر بعضها، يقول ﷺ : «أما إنّه ستمرق مارقة يمرقون من الدين مروق السهم من الرّمية ثم لا يعودون إليه حتى يرجع السهم على فوقه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسنون القول ويسيئون الفعل، فمن لقيهم فليقاتلهم فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شرّ البرية، برأ الله عزّ وجلّ منهم يقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحقّ»[1] .

ويقول ﷺ : «إنّ قوماً من أُمتي أشدّة ذلقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنّ المأجور من قتلهم»[2] .

ويقول ﷺ : «إنّ فيكم قوماً يعبدون ويدأبون حتى يعجبوا الناس

---

(١) كنز العمال حديث ٣١٢١٦.

(٢) كنز العمال: حديث ٣١٢٢٦.

وتعجبهم أنفسهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[١] .

فالناظر المتأمّل، بل القارئ المتململ، إذ لحظ تلك الأخبار، أدرك حقيقة هؤلاء الأشرار، وخصوصياتهم ومميزاتهم، فكانوا يمتازون بكثرة العبادة لكنّها قائمة على أساس الجهل فكانوا يعيشون بين إفراط وتفريط.

إفراط في العبادة من صلاة وقراءة قرآن وغيرها وتفريط في التعقّل والتدبّر والتفكّر والوعي.

وهذه العبادة الفارغة أورثتهم الغرور والعُجب بأنفسهم فكانوا يرون أنفسهم أفضل الناس حتى أفضل من رسول الله ﷺ كما في الخبر الآتي.

فقد أخرج جماعة من أهل السنن والمسانيد من الأئمة وحفظة الآثار واللفظ لأبي يعلى في مسنده ـ كما في ترجمة ذي الثدية من إصابة ابن حجر ـ عن أنس قال:

كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبّده واجتهاده وقد ذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا، قلنا: هو هذا.

قال: **إنّكم لتخبروني عن رجل انّ في وجهه لسفعة من الشيطان، فأقبل**

---

(١) كنز العمال: حديث ٣١٢٢٧.

حتى وقف عليهم ولم يسلّم.

فقال له رسول الله ﷺ: **انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير منّي.**

قال: اللهمّ نعم، ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: **من يقتل الرجل؟** فقال: أبو بكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلّي، فقال: سبحان الله؛ أقتل رجلاً يصلي؟! فخرج فقال رسول الله ﷺ: **ما فعلت؟**

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلّي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين[1].

قال: **من يقتل الرجل؟** قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر: أبوبكر أفضل منّي فخرج فقال النبي ﷺ : **مهيم؟** قال: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله.

فقال: **من يقتل الرجل؟** فقال عليّ: **أنا.** فقال ﷺ : **أنت إن أدركته،** فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع الى رسول الله ﷺ فقال: **مهيم؟** قال: **وجدته قد خرج.** قال: **لو قتل ما اختلف من أُمتي رجلان** ـ الحديث.

في مسند أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخدري ص ١٥ من جزئه الثالث قال: إنّ أبا بكر جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشّع

---

(١) إن صاحب هذه القصّة أو الرجل الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله يلقّب بذي الثدية أو الخويصرة أو المخدج وصار فيما بعد رأس المارقين وكبيرهم.

حسن الهيئة يصلّي، فقال له النبي ﷺ : **اذهب إليه فاقتله**، قال: فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله، فرجع الى رسول الله ﷺ، قال فقال النبيّ ﷺ لعمر: **اذهب فاقتله**، فذهب عمر فرآه على تلك الحالة التي رآه أبوبكر قال: فكره أن يقتله، قال: فرجع فقال: يا رسول الله إني رأيته يصلي متخشّعاً، فكرهت أن أقتله. قال ﷺ: **يا علي اذهب فاقتله**، قال: فذهب عليّ فلم يره فرجع عليّ فقال: **يا رسول اللهإني لم أره**، فقال النبي ﷺ : **إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرّ البرية.**

هنيئاً لكما أيها الشيخان ما أرأفكما وما أرحمكما وما أرقّ وأشفق قلوبكما فكاد أن يقتل هذا الرجل العابد المصلّي الساجد وتقع السماء على الأرض لولا الاجتهاد مقابل النصّ، فهذه واحدة من فوائد تلك القاعدة حيث دفعت القتل عن رأس المارقين.

جهل وجدل

إنّ عليّاً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زُرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي التميمي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلّا لله فقال عليّ: **لا حكم**

إلّا لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيّتك واخرج بنا الى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا.

فقال لهم عليّ: **قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها...﴾** .

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال عليّ: **ماهو ذنب ولكنّه عجز من الرأي وضعف من الفعل و قد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه.** فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا عليّ، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

فقال له عليّ: **بؤساً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح.** قال: وودت أن قد كان ذلك فقال له عليّ: **لو كنت محقّاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عزّ وجلّ إنّه لا خير لكم في دُنيا تقاتلون عليها،** فخرجا من عنده يحكمان[1] .

ومن نفس المصدر صفحة ٨٤ قال الخوارج لعليّ عليه السلام : إنّا حكّمنا، فلمّا حكمنا أثِمنا وكنا بذلك كافرين، وقد تُبنا فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا فإنّا مُنابذوك على

---

(١) الطبري: ٣٣٦١/١، شرح النهج: ٧٢/٥، والكامل: ٣٣٤/٣.

سواء أن الله لا يحب الخائنين.

فقال عليّ عليه السلام : **أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر! أبعد ايماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين**[١] .

الخلق الكريم حتّى مع عدوّه

قام عليّ عليه السلام في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلّا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدّة رجال يحكمون، فقال عليّ: **الله أكبر، كلمة حقّ يلتمس بها باطل! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا:**

لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا[٢] .

أقول: لا يخفى ما في هذا الخلق الكريم من العِظة والعبرة لمن يدّعي أنه من محبّي وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام فهل نحن مع من خالفنا الرأي هكذا أم نسارع الى تركه وهجره، وهل لكلمة إنسان أو إنسانية معنى في قاموس حياتنا كما هي عند عليّ عليه السلام أم لا.

---

(١) الطبري: ٨٥/٤، والكامل: ٣٤٤/٣.

(٢) الطبري: ٣٣٦٢/١، وشرح النهج: ٧٣/٥، والكامل: ٣٣٥/٣.

شناعة وبشاعة

قال أبو مخنف عن عطاء عن عجلان، عن حميد بن هلال: إنّ الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ، ثم أهوى الى ثوبه يتناوله من الأرض ـ وكان سقط عنه لمّا أفزعوه ـ .

فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيّ ﷺ لعلّ الله ينفعنا به.

قال: حدثني أبي عن رسول الله ﷺ: «**إنّ فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً**». فقالوا: ألهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً، قالوا: ما تقول في عثمان في أوّل خلافته وفي آخرها؟ قال: إنّه كان محقّاً في أوّله وفي آخرها، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال:

أنّه أعلم بالله منكم وأشد توقّياً على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنّك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حُبلى مِتم حتى نزلوا تحت نخلٍ مواقر فسقطت منه ربطة

فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه.

فقال أحدهم: بغير حِلها وبغير ثمن! فلفظها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربه بسيفه. فقالوا: هذا فساد في الأرض فأتي صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلمّا رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرىٰ فما عليَّ منكم بأس، أني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد آمنتموني إذ قلتم: لا روع عليك، فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء.

وأقبلوا الى المرأة فقالت: إنّما أنا امرأة ألا تتقون! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا اُمّ سنان الصيداويّة.

فبلغ ذلك عليّاً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خباب، واعتراضهم الناس فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه.

فخرج حتى انتهى الى النهر ليسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتىٰ الخبر أميرالمؤمنين والناس فقام إليه الناس، فقالوا: يا أميرالمؤمنين علامَ تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا الى القوم فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا الى

عدوّنا من أهل الشام[١].

ويقول أبو العباس في الكامل فمن طريف أخبارهم أنّهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمّة نبيّكم.

وقال: وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنّا لنأخذها إلّا بثمن، فقال: واعجباه! أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون جنا نخلةٍ إلّا بثمن.

صدق الله وكذب المنجّمون

عزم عليّ عليه السلام على الخروج الى الحروريّة وكان في أصحابه منجّم فقال له: يا أميرالمؤمنين، لا تسير في هذه الساعة وسرّ على ثلاث ساعات مضين من النّهار فإنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال له عليّ عليه السلام: **أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أُنثى؟** قال: إن حسبت علمت، فقال عليّ عليه السلام: **من صدّقك بهذا فقد كذّب بالقرآن**

---

(١) الطبري: ٣٣٧٥/١، ج ٥ ص ٨٢، والكامل لابن الأثير: ٣٤١/١.

قال الله تعالى: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾[١] . ثم قال عليه السلام : إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله ما كان يدّعي علم ما ادّعيت علمه، أتزعم أنّك تهدي الى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها! فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ ذكره في صرف المكروه عنه. وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جلّ جلاله، لأنّه بزعمك هديته الى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون الله ضدّاً وندّاً.

اللهمّ لا طير إلّا طيرك، ولا ضُرّ إلّا ضرّك، ولا إله غيرك، ثم قال: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس إيّاكم والتعلّم للنجوم إلّا ما يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر.

إنّما المنجم كالكاهن والكاهن كالكافر والكافر في النار. أما والله لئن بلغني أنّك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبداً ما بقيت ولاحرمنّك العطاء ما كان لي من سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم، فظفر بأهل النهر وظهر عليهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجّم لقال الناس: سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر وظهر.

---

(١) لقمان: ٣٤.

أمّا أنه ما كان لمحمّدﷺ منجم، ولا لنا من بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرىٰ وقيصر. أيّها الناس توكّلوا على الله وثِقوا به فإنّه يكفي ممّن سواه[١] .

كأنّي بك وقد وطأتك الخيل

لمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليّاً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنّة رسول اللهﷺ فجاءه ربيعةبن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له: **بايع على كتاب اللهوسنّة رسول اللهﷺ** .

فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر، قال عليّ: **ويلك! أنّ أبابكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ لم يكونا على شيء من الحقّ**، فبايعه فنظر إليه علي وقال:

«أمّا والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقُتِلت، وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة[٢] .

---

(١) شرح النهج: ٢/ ٢٧٠، والطبري: ١/ ٣٣٧٦ و: ٥/ ٨٣، والكامل: ٣/ ٣٤٣.

(٢) الطبري: ١/ ٣٣٦٧ و: ٥/ ٧٦، وابن الأثير: ٣/ ٣٣٧.

لا يقتل منّا عشرة ولا ينجو منهم عشرة

عن جندب قال: لمّا فارقت الخوارج عليّاً خرج في طلبهم وخرجنا معه فأنتهينا الى عسكر القوم. فإذا لهم دوي كدويّ النحل من قراءة القرآن وإذا فيهم أصحاب النقبات وأصحاب البرانس! فلمّا رأيتهم دخلني من ذلك شدّة فتنحيت فركزت رمحي ونزلت عن فرسي ووضعت برنسي فنشرت عليه درعي وأخذت بمقود فرسي فقمت أُصلّي الى رمحي وأنا أقول في صلاتي: اللهمّ إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فأذن لي فيه وإن كان معصية فأرني براءتك.

قال: فأنا كذلك إذ أقبل عليّ بن أبي طالب على بغلة رسول الله ﷺ فلمّا جاء إليّ قال: **تعوّذ بالله يا جندب من شرّ السخط**، فجئت أسعى إليه، ونزل فقام يصلّي إذ أقبل رجل على برذون يقرب به فقال: ياأميرالمؤمنين قال: **ما شأنك؟** قال: ألك حاجة في القوم. قال: **وما ذاك؟** قال: قد قطعوا النهر فذهبوا قال: **ما قطعوه.**

قلت: سبحان الله! ثمّ جاء آخر أرفع منه في الجري فقال: ياأميرالمؤمنين قال: **ما تشاء؟** قال: ألك حاجة في القوم؟ قال: **وماذاك؟** قال: قد قطعوا النهر؟ قال عليّ: **ما قطعوه.** ثم جاء آخر فقال: قد قطعوا النهر. قال عليّ: **ما قطعوه**، ثم جاء آخر وقال كما قالوا.

فقال عليّ: **ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلنّ دونه، عهد من الله ورسوله.**

قلت: الله أكبر ثم قمت فأمسكت له بالركاب ثمّ ركب فرسه ثم رجعت الى درعي فلبستها وإلى قوسي فعلقتها وخرجت أسايره فقال لي: **يا جندب!**

قلت: لبيّك يا أميرالمؤمنين: قال: **أما أنا فأبعث اليهم رجلاً يقرأ المصحف يدعو الى كتاب الله ربّهم وسنّة نبيّهم فلا يُقبل علينا بوجهه حتى يرشقوه بالنبل، يا جندب أما إنّه لا يقتل منّا عشرة ولا ينجو منهم عشرة.**

فانتهينا الى القوم وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه لم يبرحوا فنادى عليّ في أصحابه فصفهم ثم أتى الصف من رأسه ذا الى رأسه ذا مرتين ثم قال:

من يأخذ هذا المصحف فيمشي به الى هؤلاء القوم فيدعوهم الى كتاب الله ربّه وسنّة نبيّهم وهو مقتول وله الجنّة.

فأجابه شاب من بني عامر بن صعصعة، فخرج الشاب بالمصحف الى القوم فلمّا دنا منهم نشبوه فقال عليّ: **دونكم القوم!** قال جندب: فقتلت بكفي هذه ثمانية قبل أن أُصلّي الظهر، وما قُتل منّا عشرة، وما نجا منهم عشرة كما قال عليّ عليه السلام[1].

---

(١) كنز العمال: حديث ٣١٥٤٨، شرح النهج: ٢٧٢/٢، ابن الأثير: ٣٤٥/٣، والبيهقي في المحاسن: ٢٨٣.

وأرسل عليّ الى أهل النهر: **أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تاركم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعلّ الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير ممّا أنتم عليه من أمركم.** فقالوا: كلّنا قتلهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم. وخرج اليهم قيس بن سعدبن عبادة فقال لهم: عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدوّنا وعدوّكم فإنّكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين!

فقال لهم عبدالله بن شجرة السّلمي: إنّ الحقّ قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم[1].

وروى أبو عبيد معمر بن المثنى، قال: استنطقهم عليّ عليه السلام بقتل عبدالله بن خباب فأقروا به فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة، فتكتبوا كتائب وأقرّت كلّ كتيبة بمثل ما أقرّت به الأُخرى من قتل ابن خباب وقالوا: ولنقتلنّك كما قتلناه.

فقال عليّ: **والله لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله كذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم، ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدّوا عليهم، فأنا أوّل من يشّد عليهم،** وحمل بذي الفقار حملة منكرة ثلاث مرات، كلّ حملة

---

(١) الطبري: ١/٣٣٧٧ و: ٥/ ٨٣، ابن الأثير: ٣/٣٤٣.

يضرب به حتى يعوج متنه ثم يخرج فيسويه بركبتيه، ثم يحمل به حتى أفناهم[١].

حقّ القول كما قال الرسول صلى الله عليه وآله

قد روىٰ جماعة أن عليّاً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج: «**أنّ قوماً يخرجون، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، علامتهم رجل مخدج اليد**»، سمعوا ذلك منه مراراً، فلمّا خرج أهل النهروان سار بهم إليهم عليّ وكان منه معهم ما كان؛ فلمّا فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج. فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول: «**والله أنّه لفيهم، والله ما كذبت ولا كُذبت**».

ثم إنّه جاءه رجل فبشره، فقال: يا أميرالمؤمنين قد وجدناه. وقيل: بل خرج عليّ في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة والريان بن صبرة فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً.

فلمّا استخرجه نظر الى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سوداء فإذا مُدت امتدت حتى تحاذي يده

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٨٢.

الطولىٰ ثم تترك فتعود الى منكبه فلمّا رآه قال: «**الله أكبر ما كذبت ولا كُذبت، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه.**

وقال حين مرّ بهم وهم صرعى: **بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم**، قالوا: يا أميرالمؤمنين من غرّهم؟ قال: **الشيطان وأنفسٌ أمّارة بالسوء غرّتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنّهم ظاهرون**[١] .

ويقول ابن أبي الحديد: روى جميع أهل السِير كافّة أنّ عليّاً عليه السلام لمّا طحن القوم طلب ذا الثدية طلباً شديداً، وقلب القتلىٰ ظهراً لبطن فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول: **والله ما كذبتُ ولا كُذِبت، اطلبوا الرجل وانّه لفي القوم**، فلم يزل يتطلبه حتى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنّها ثدي في صدره[٢] .

وفي كنز العمال عن أبي كثير قال: كنت مع سيدي عليّ بن أبي طالب حين قتل أهل النهروان، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال عليّ: **يا أيّها الناس إنّ نبي الله ﷺ حدثني أن ناساً يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه أبداً.**

وآية ذلك أنّ فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدىٰ يديه كثدي

---

(١) الكامل لابن الأثير: ٣/٣٤٧، والطبري: ١/٣٣٨٤.

(٢) شرح النهج: ٢/٢٧٦.

المرأة لها حلمةٌ كحلمة المرأة، فإني لا أراه إلّا فيهم، فوجدوه على شفير النهر تحت القتلىٰ. فقال: **صدق الله ورسوله**، وفرح الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ماكانوا يجحدون[١].

وقد ذكر الكثير من هذا القبيل في كنز العمال فمن أراد المزيد فليراجع.

المختار من الأخبار

عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع رسول الله ﷺ، فانقطع شسع نعله فألقاها الى عليّ عليه السلام يصلحها ثم قال: **«إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»**.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: **لا**، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: **لا ولكنه ذاكم خاصف النعل**. ويد عليّ عليه السلام على نعل النبيّ ﷺ يصلحها.

قال أبو سعيد: فأتيت عليّاً فبشرته بذلك فلم يحفِل، كأنه شيء قدكان علمه من قبل[٢].

وذكره في كنز العمال في كتاب الفضائل عن أحمد وأبي يعلى والبيهقي والحاكم وسعيد بن منصور.

---

(١) كنز العمال حديث ٣١٥٦٣، كتاب الفتن والأهواء.

(٢) شرح النهج: ٢٠٧/٣.

وروىٰ ابن ديزيل بإسناده عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فأهدت له الأزد جزوراً فبعثوها معي فدخلت إليه فسلمت عليه، وقلت له: يا أباأيّوب، قدكرّمك الله عزّ وجلّ بصحبة نبيّه ﷺ ونزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرّة وهؤلاء مرّة؟!

قال: إنّ رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ولم أرهم بعد[١].

وذكره في كنز العمال في كتب الفتن والأهواء قسم الأفعال.

عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيّوب فقلنا: يا أبا أيّوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين!

قال: إنّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين[٢]

يقول ابن أبي الحديد: قد روىٰ كثير من المحدثين عن

---

(١) شرح النهج: ٣/ ٢٠٧.

(٢) كنز العمال: حديث ٣١٧٢١.

عليّ عليه السلام، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليَّ جهاد المشركين قال قلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كتب عليَّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنّة، فقلت: يا رسول الله فعلامَ أُقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟

قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر، فقلت: يا رسول الله إنّك كنت وعدتني الشهادة، فأسال الله أن يعجلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! أمّا إني وعدتك الشهادةوستستشهد تضرب على هذه فتخضّب هذه، فكيف صبرك إذاً، قلت: يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت[1].

أقول: كلّ ما فعله أميرالمؤمنين عليه السلام من حرب وسلم مع الناكثين والقاسطين والمارقين، هي أوامر من الله ورسوله امتثلها وظهرت من خلالها معاجز ودلائل للنبيّ والوصيّ.

وكلّ ما فعلته الفرق أو الفئات الثلاثة كان تحذيراً ونهياً قد اشتهر وظهر على لسان النبيّ الأُمي.

وكل هذا العداء لأمير المؤمنين هو نتيجة حبّ الدنيا والتكالب عليها طلباً للرئاسة والسلطة والجاه والعلوّ والفساد، وكما

---

(١) شرح النهج: ٢٠٦/٩.

قال عليه السلام : «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زِبرجُها[١] .

لمّا دخل عليّ بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال: والله يا أميرالمؤمنين لقد زِنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها[٢] .

وبنظر هذه اللئالئ المتفرقات، ورصّها بعد أن كانت مبعثرات فأصبحت كالحور المتعانقات، من لحظها ولمحها سرّته، ومن نظر إليها وتأملها أغنته، كفاية لذوي النهى والدراية، ونور لأهل الهدى والولاية، وحجّة في معرفة المبدأ والغاية، فنكتفي بهذا العقد المنضود.

والحمدلله أهل الكرم والجود وأُصلّي وأُسلّم على النبيّ المحمود وعلى آله الطيبين الطاهرين والحمدلله رب العالمين.

---

(١) شرح النهج: ١/٢٠٠.

(٢) السيوطي في تاريخ الخلفاء نقلاً عن المدائني: ص ١٨٠.

ردّاً على عجل

اشتريت كتاباً فما أن وصلت الى البيت أحببت أن أقرأ ما يقوله المحقّق والمعلّق الذي حقّق وعلّق على الكتاب فما أن قرأت صفحة أو صفحتين وإذا بي اقرأ هذه الكلمة إن ابن أبي الحديد شيعي.

أصبت بوعكة نفسية وتأسفت وتأوّهت وقلت في نفسي مثل هذا الكتاب يعلّق عليه ويحقّقه من لا يعرف أن يميّز بين الشيعي والسني وعلّقت آنذاك على كلمته هذه بقولي: اسم الله على هذه المعرفة وهذا العقل وينبغي أن تناط عليك التمائم والعوذ خوفاً من العيون والحسد.

وها أنا أرد على عجل، إذ قوله في غاية الجهل، فلا يحتاج الى بحث وجدل، فنظرت في شرح نهج البلاغة نظرة عجلان، واخترت من آراءه ما يكفي في البيان، إنّ الرجل من اتباع أبي بكر وعمر وعثمان، وبُعده عن الشيعة بُعد المشرقين وأُصوله وفروعه أخذها عن الشيخين، فكيف يكون شيعة لأبي الحسن والحسين.

آراء الرجل وعقيدته

١ ـ يقول في ج ١، ص ٧: اتفّق شيوخنا كافّة المتقدمون

والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أنّ بيعة أبي بكر الصّديق بيعة صحيحة شرعيّة، وأنها لم تكن عن نص، وإنّما كانت بالاختيار والذي ثبت بالإجماع.

أقول: أي شيعي يتفوّه بهذا الكلام ومن هؤلاء الشيوخ الذين اتفقت كلمتهم، وهل هناك شيعي يخالف إمامه حيث يقول: **أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه يعلم أن محلي منها محلّ القطب من الرحا.**

وقوله بالاختيار الذي ثبت بالاجماع، **أقول:** إنّ الشيعة لا ترىٰ أي قيمة للاجماع إلّا إذا عُلم أن المعصوم أحدهم وهذا الاجماع الذي ذكره ابن أبي الحديد الظاهر انّه بحذف الهمزة.

٢ ـ قوله في بداية كتاب شرح النهج: الحمدلله الواحد العدل... الى أن يقول: وقدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف.

أقول: لا ندري أي إله يقصد فإن كان يقصد الله الذي خلق الموجودات وبرأ النسمات وأنزل الكتب وبعث الأنبياء والرسل فحاشاه وسبحانه فإنّ الشيعة لا تنسب هكذا تقديم لكبير قومٍ وزعيمهم لقبحه ولما فيه من الاجحاف.

ولا أدري كيف ينسجم قوله هذا مع قوله أوّلاً حيث قال: الحمد لله الواحد العدل فوصفه بالعدل ثم نسب إليه انه قدّم

المفضول على الأفضل.

فالظاهر أنّ المراد من هذا الإله الذي قدّم وأخّر ما أشارت إليه الآية: ﴿أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه﴾، فأي شيعي هذا ينسب القبح والظلم الى الله في سبيل تصحيح تقدّم المفضول (أبي‌بكر) على الأفضل (عليّ).

٣ ـ قوله في ج ١، ص ١٣: ودُعي بعد وفاة النبي ﷺ بوصيّ رسول الله، وأصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: إنّها لم تكن وصية بالخلافة.

٤ ـ قوله في ج ١، ص ١٦١: وتزعم الشيعة أن رسول الله ﷺ كان يعلم موته، وأنّه سيّر أبا بكر وعمر في بعث أُسامة لتخلو دار الهجرة منهما، فيصفوا الأمر لعليّ عليه السلام، ويبايعه من تخلّف من المسلمين على سكون وطمأنينة...

أقول: وهل هذا زعم أم حقيقة وواقع بل إنّها من دلائل نبوّته ثم انه لماذا يطاع رسول الله مع تكرار أوامره بتجهيز جيش أُسامة، وكيف لا يعلم رسول الله موته وهؤلاء تلاميذه وأصحاب أمير المؤمنين عندهم علم المنايا والبلايا كرشيد الهجري.

وهل هناك دليل أقوى من الوقوع، فكلّ ما حذّر منه الرسول وخافه وقع، فسبقا عليّاً الى البيعة وجرى ما جرىٰ.

٥ ـ قوله في ج٢، ص٥٩: واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأمّلها وأنصف علم أنّه لم يكن هناك نصّ صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرّق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية....

٦ ـ قوله بعد ذكر قصّة السقيفة ج٦، ص١٢ قلت: هذا الحديث يدلّ على بطلان ما يدعى من النّص على أميرالمؤمنين وغيره، لأنّه لو كان هناك نصّ صريح لاحتجّ به ولم يجر للنص ذكر....

٧ ـ قوله في ج١١، ص١١١: وكلّ ذلك محمول عندنا على أنّه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة، وليس بدالّ عندنا على وجود النصّ، لأنه لو كان هناك نصّ لكان أقلّ كلفة وأسهل طريقاً، وأيسر لما يريد تناولاً أن يقول:

يا هؤلاء إن العهد لا يطل، وانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمركم بطاعتي واستخلفني عليكم بعده....

٨ ـ قوله في ج١١، ص١١٢: وكلّ هذا إذا تأمّله المنصف علم أنّ الشيعة أصابت في أمر واخطأت في أمر.

أمّا الأمر الذي أصابت فيه فقولها: إنّه امتنع وتلكأ، وأراد الأمر لنفسه وأمّا الأمر الذي اخطأت فيه فقولها: إنّه كان منصوصاً عليه

نصّاً جليّاً بالخلافة تعلمه الصحابة كلّها أو أكثرها، وإن ذلك النصّ خولف طلباً للرئاسة الدنيويّة وإيثاراً للعاجلة.

أقول: ان ليس للجحود والانكار والعناد ردّ وجواب إلّا قول ربّنا سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿**ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا...**﴾ .

وقوله تعالى: ﴿**... ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه...**﴾ .

وقوله تعالى: ﴿**بل يريد كلّ امرىءٍ منهم أن يؤتىٰ صُحفاً منشّرة**﴾ .

فابن أبي الحديد وأمثاله ممّن سبقه أو تأخّر عنه لو أنزل على كلّ واحد منهم ملك معه صحف منشرة بولاية عليّ بن أبي طالب وخلافته لألّفوا كتباً في الردّ عليها والتشكيك بها.

٩ ـ قوله في غضب فاطمة على أبي بكر وعمر في ج٦، ص٥٠: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وانّها أوصت ألّا يصلّيا عليها وذلك عند أصحابنا من الأُمور المغفورة لهما.

أقول: انّ الشيعة تعتقد خلاف هذا وهو أنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.

١٠ ـ قوله في ج١٧، ص١٦٨: وأمّا حديث الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام فقد تقدّم الكلام فيه، والظاهر عندي صحّة ما يرويه

المرتضى والشيعة، ولكن لا كلّ ما يزعمونه، بل كان بعض ذلك.

وحقٌّ لأبي بكر أن يندم ويتأسّف على ذلك، وهذا يدلّ على قوّة دينه وخوفه من الله تعالى، فهو بأن يكون منقبة له أولى من كونه طعناً عليه.

١١ ـ توقفه في إيمان أبي طالب إذ يقول في ج١٤، ص٨٢: وجملة الأمر أنّه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين.

أقول: إنّ الشيعة تنظر الى أبي طالب كنظرها الى الأولياء والأوصياء وكما يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين: **انّ مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرّتين.**

ثم ان شِعره الذي يعرب عن إيمانه، ونثره الذي يخبر عن جنانه ونصرته الإسلام بيده ولسانه أوضح من النصوص الجليّة والأخبار العليّة.

لكن مشكلة أبي طالب هي من قبل ابنه عليّ.

١٢ ـ رأيه في الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه)

فى ج٧، ص٥٩ يقول:

فإن قيل: ومن هذا الرجل الموعود به الذي قال عليه السلام عنه: «بأبي ابن خير الإماء»؟ قيل: أما الإمامية فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر، وأنه ابن أمة اسمها نرجس، وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطمي يولد في مستقبل الزمان لأُمّ ولد، وليس بموجود الآن.

١٣ ـ يقول في ج١٢، ص ٢٠٠: واعلم أن أوّل من سنّ لأهل الغيبة من الشيعة القول بأنّ الإمام لم يمت ولم يقتل، وإن كان في الظاهر وفي مرأىٰ العين قد قُتل أو مات انّما هو عمر.

ولقد كان يجب على المرتضى وطائفته أن يشكروه على ما أسّس لهم من هذا الاعتقاد.

أقول: إنّ الشيعة إنّما قالت بغيبة الإمام (عجّل الله تعالى فرجه) للنصوص الثابتة، وهل أخذت الشيعة برأي من آراء عمر حتى يؤسّس لهم القول بغيبة الإمام.

وهذا يسير من كثير من آراء وعقائد ابن أبي الحديد، فيا أيّها المحقّق والمعلّق هلّا تحقّقت من قولك إن ابن أبي الحديد شيعي.

إنّما الشيعي الذي يعتقد بولاية وإمامة الأئمة الإثني عشر أوّله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وآخرهم المهدي المنتظر وانّهم معصومون وانّهم حجج الله على خلقه، فمن أنكر واحداً منهم أو

صفة من صفاتهم فليس على شيء من دين الله.

والشيعي هو الذي يأخذ منهم وعنهم كلّ أُمور دينه، فلو اتّبع غيرهم أو ردّ حكماً عليهم فحاله عند الشيعة كمن تقمّص الخلافة.

ولعلّ الذي غرّه بأن يقول ما قال هو المدح والثناء من قبل ابن أبي الحديد لعليّ وأهل البيت كما فعل الذين سبقوه حتى قال الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقال:

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن انّكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

ولكن الشيعة لا ترىٰ لهذا المدح والثناء وزناً إذا خلا عن الاعتقاد بإمامتهم والانقياد لسلطانهم.

ويقولون فيهم: إنّ هؤلاء خوفاً من أن يُنسبوا الى نفاق أو شرك أو شيطان وغير ذلك مما ثبت في حقّ من خالف عليّاً واتّبع غيره، أظهروا الحبّ والمودّة والتشيع، وبهذه الازدواجية في العقيدة تصوّروا أنهم شيعة لعليّ وأهل البيت.

فابن أبي الحديد واحد من هؤلاء حتى لو ملأ الدنيا شعراً ونثراً يمدح أهل البيت ويثني عليهم.

الشجرة الملعونة

يقول ابن أبي الحديد: وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين أنّ رسول الله ﷺ أخبر أنّ بني أُميّة تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه، نحو ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن**﴾، فإن المفسرين قالوا: إنّه رأى بني أُمية ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول الله ﷺ الذي فسّر لهم الآية به، فسائه ذلك، ثم قال: **الشجرة الملعونة بنوأُميّة وبنو المغيرة**[١][٢].

ويقول في ج ٤ ص ٧٩: وروى شيخنا أبوعبدالله البصري المتكلّم، عن نصر بن عاصم الليثني عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله ﷺ : «**لعن الله التابع والمتبوع رُبَّ يوم لأُمّتي من معاوية ذي الإستاه**» قالوا: يعني الكبير العجز.

وروى نصر، عن عبدالغفار بن القاسم عن عديّ بن ثابت أن

---

(١) شرح النهج: ٩/ ٢٢٠

(٢) تفسير القرطبي والفخر الرازي وكنز العمال: ج ١١ / ١٦٣ وج ١٤ / ٣٩.

البراء بن عازب، قال: أقبل أبوسفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهمّ العن التابع والمتبوع اللهمّ عليك بالأُقيعس**»، فقال ابن البراء لأبيه: من الأُقيعس؟ قال: معاوية[١] .

وروي عن بليد بن سليمان حدثني الأعمش عن علي بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله ﷺ وعاينه فأتينا عبدالله بن عمر فقلنا: ياصاحب رسول الله حدثنا ماشهدت ورأيت؟ قال: إنّ هذا أرسل إليّ ـ يعني معاوية ـ فقال: لئن بلغني انّك تحدّث لأضربنّ عنقك.

فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت: وددت أن أحدّ سيفٍ في جندك على عنقي، فقال: والله ماكنت لأُقاتلك ولا أقتلك.

وأيم الله ما يمنعني أن أحدّثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال فيه: رأيت رسول الله ﷺ أرسل إليه يدعوه ـ وكان يكتب بين يديه ـ فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فقال: **لا أشبع الله بطنه**، فهل ترونه يشبع؟ .

قال: وخرج [معاوية] من فجٍّ فنظر رسول الله الى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلمّا نظر إليهم رسول الله ﷺ قال: «**اللهمّ العن القائد والسائق والراكب**».

---

(١) وقعة صفين: ٢١٨.

قلنا: أنت سمعت رسول الله ﷺ؟ قال، قال: نعم، وإلّا فصمّتا أُذناني كما عميتا عيناي[١].

يقول ابن أبي الحديد: تظافرت الأخبار أن رسول الله ﷺ دعا على معاوية لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل ثم بعث فوجده يأكل، فقال: «اللهمّ لا تشبع بطنه» قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأنّ في أحشائه معاوية[٢]

ويقول في ج٨، ص٣٩٨: وقد كان فيهم قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية.

قال أبو الحسن المدائني في كتاب الأكلة: كان يأكل في اليوم أربع أكلات أخراهنّ عُظماهنّ، ثم يتعشى بعدها بثريدة عليها بصل كثير ودهن كثير قد شغلها. وكان أكله فاحشاً يأكل فيلطّخ منديلين أو ثلاثة قبل أن يفرغ وكان يأكل حتى يستلقي، يقول: يا غلام ارفع فإني والله ما شبعت ولكن مللت[٣].

وروى نصر عن محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي قال: أخبرني أبوهلال أنّه

---

(١) وقعة صفين: ٢٢٠.

(٢) شرح النهج: ٥٥/٤.

(٣) ربيع الأبرار: ٢١٢/٣ ـ ٢٢٨.

سمع أبا برزة الأسلمي يقول: إنّهم كانوا مع رسول الله ﷺ فسمعوا غناءً فتشرّفوا له، فقام رجل فاستمع له، وذاك قبل أن تحرّم الخمر... .

فأتاهم ثم رجع فقال: هذا معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول:

يزال حواريٌّ تلوح عظامه
زوى الحرب عنه أن يُحسّ فيقبرا

فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهمّ أركسهم في الفتنة ركساً، اللهمّ دُعّهم الى النار دعّا**»[1] .

يقول ابن أبي الحديد: لامَ معاوية يزيد ابنه على سماع الغناء وحبّ القيان وقال له: أسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلّم بلساني كلمة؟ قال: نعم، وبلسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عتبة مع لسانك، قال: والله لقد حدثني عمرو بن العاص ـ واستشهد على ذلك ابنه عبدالله بصدقه ـ .

أنّ أبا سفيان كان يخلع على المغني الفاضل من ثيابه ولقد حدثني أن جاريتي عبدالله بن جدعان غنتاه يوماً فأطربتاه، فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوباً ثوباً حتى تجرّد تجرد العري، ولقد كان هو

---

(١) وقعة صفين: ٢١٩.

وعفّان ابن أبي العاص ربّما حملا جارية العاص بن وائل على أعناقهما.

فمرّا بها على الأبطح وجلة قريش ينظرون إليهما مرّة على ظهر أبيك ومرة على ظهر عفّان، فما الذي تنكر منّي! فقال معاوية: اسكت لحاك الله والله ما أحد الحقّ بأبيك هذا إلّا ليغرّك ويفضحك وإن كان أبوسفيان ما علمت لثقيل الحلم، يقظان الرأي، عازب الهوىٰ، طويل الأناة، بعيد القعر وما سوّدته قريش إلّا لفضله[1].

يقول الجاحظ في كتاب التاج: قلت لإسحاق بن إبراهيم هل كانت الخلفاء من بني أُمية تظهر للندماء والمغنين؟

قال: أما معاوية ومروان وعبدالملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذ طرب للمغني والتذّه حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرّد حيث لا يراه إلّا خواص جواريه.

إلّا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نعير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة: حسبك

---

(١) شرح النهج: ج٨، ص ١٣٠.

يا جارية كفى انتهي أقصري يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري.

فأما الباقون من خلفاء بني أُميّة فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين وعلى ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبدالملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرّد ما يُباليان ما صنعا.

قلت: فعمر بن عبدالعزيز؟ قال: ما طنّ في سمعه حرف غناء منذ أفضت الخلافة إليه الى أن فارق الدنيا، فأما قبلها ـ وهو أمير المدينة ـ فكان يسمع الغناء ولا يظهر منه إلّا الأمر الجميل وكان ربّما صفق بيديه وربّما تمرّغ على فراشه وضرب برجليه وطرب، فأمّا أن يخرج عن مقدار السرور الى السخف فلا[1].

---

(١) التاج العروس: ص ٣٠.

من مصادر الحديث

١ ـ عن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، قال أبو صادق: قدم أبو أيوب الأنصاري العراق فاهدت له الأزد جزراً فبعثوا بها معي فدخلت عليه فسلمت عليه، وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيّه ونزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟! تستقبل هؤلاء مرّة وهؤلاء مرة فقال: إنّ رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع الناكثين فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد إلينا أن نقاتل مع عليّ المارقين فلم أرهم بعد[1].

وروى علقمة والأسود عن أبي أيّوب أنّه قال: إنّ الرائد لا يكذب أهله وإنّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي قتال

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤١/٥، أربعين الحاكم ولفظه يقرب من هذا، تاريخ ابن كثير: ٣٠٦/٧، كنز العمال: ٨٨/٦.

الناكثين والقاسطين والمارقين ـ الحديث[١].

وقال عتاب بن ثعلبة: قال أبو أيّوب الأنصاري في خلافة عمربن الخطاب: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع عليّ. ورواه عنه الأصبغ بن نباتة غير أنّ فيه أمرنا[٢].

٢ ـ أبو سعد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين قلنا: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ قال: **مع عليّ بن أبي طالب**[٣].

٣ ـ خليد العصري قال: سمع أميرالمؤمنين عليّاً يقول يوم النهروان: **أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**[٤].

٤ ـ عبدالله بن مسعود قال: أمر رسول الله ﷺ عليّاً بقتال... الحديث[٥].

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي: ١٨٧/٣، كفاية الكنجي: ٧، تاريخ ابن كثير: ٧، ص٣٠٦.

(٢) أخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره السيوطي برواية الحاكم في أربعينه وابن عبدالبرّ في الاستيعاب: ٥٣/٣.

(٣) أخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي والحافظ الكنجي في الكفاية ص٧٢، وابن كثير في تاريخه: ٣٠٥/٧، والخوارزمي في المناقب: ١٩٠.

(٤) الخطيب في تاريخه: ٣٤٠/٨، وابن كثير في تاريخه: ٣٠٥/٧.

(٥) أخرجه الطبراني والحاكم في أربعينه من طريقين وأبوعمر في الاستيعاب:

٥ ـ عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أُم سلمة، فجاء عليّ، فقال رسول الله ﷺ : **يا أُمّ سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي**[١] .

٦ ـ عليّ بن ربيعة الوالبي قال: سمعت عليّاً يقول: **عهد إليّ النبيّ ﷺ أن أُقاتل بعده القاسطين والناكثين والمارقين**[٢] .

٧ ـ سعد بن عبادة قال: قال عليّ عليه السلام : **أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**[٣] .

٨ ـ أخرج ابن عساكر من طريق زيد الشهيد عن عليّ إنّه قال: **أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**[٤] .

٩ ـ أنس بن عمرو عن أبيه عن عليّ عليه السلام قال: **أُمرت بقتال ثلاثة:**

← ٥٣/٣، هامش الاصابة والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧.

(١) أربعين الحاكم، الرياض النضرة: ٢٤٠/٢، تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧، مطالب السؤول: ٢٤ نقلاً عن مصابيح البغوي، فرائد السمطين باب ٢٧، كنز العمال: ٣٩١/٦.

(٢) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، والحافظ الهيثمي في المجمع: ٢٣٨/٧، وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير: ٣٠٤/٧، وشرح المواهب للزرقاني: ٢١٧/٣، والمعيار والموازنة: ٥٥/٣٧، والخوارزمي في المناقب: ١٩٠.

(٣) أخرجه جمع من الحفّاظ من غير طريق راجع ابن كثير: ٣٠٥/٧، وكنز العمال: ٧٢/٦.

(٤) تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧، كنز العمال: ٣٩٢/٦.

المارقين والقاسطين والناكثين. أخرجه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧.

١٠ ـ أبو سعيد مولىٰ رباب قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: **أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**[١].

١١ ـ ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ لأُمّ سلمة: **يا أُمّ سلمة أن عليّاً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.** قال ابن عباس: وقتلهم لله رضى وللأُمّة صلاح ولأهل الضلالة سخط. قال الشامي: يابن عباس مَن الناكثون قال: الذين بايعوا عليّاً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة أصحاب الجمل، والقاسطون معاوية وأصحابه، والمارقون أهل النهروان ومن معهم. فقال الشامي: يابن عباس ملأت صدري نوراً وحكمة وفرجت عنّي فرّج الله عنك أشهد أن عليّاً رضي الله عنه، مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٢].

١٢ ـ السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿**فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون**﴾ في سورة الزخرف قال: وأخرج

---

(١) ايضاح الأشكال للحافظ عبدالغني بن سعيد، المناقب للخوارزمي: ١٠٦ من طريق الحافظ ابن مردويه.

(٢) البيهقي في المحاسن والمساوي: ص ٤٠، والحموييني في الفرائد باب ٢٧ وباب ٢٩ بطرق ثلاث والكنجي في الكفاية: ص٦٩، والمتقي في الكنز: ٦، ص ١٥٤، من طريق الحافظ العقيلي.

ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿**فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقون**﴾، نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

١٣ ـ النسائي في خصائص أميرالمؤمنين بإسناده عن زر بن حبيش أنّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول: **أنا فقأت عين الفتنة ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولىٰ أني أخشىٰ أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضىٰ الله عزّ وجل على لسان نبيّكم ﷺ لِمَن قاتَلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً بالهدىٰ الذي نحن عليه**[1].

---

(١) ورواه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) في مطلع كتاب الغارات، وانظر تاريخ الطبري: ٥٠/٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٣٩/٣.
وأخرجه عبد بن أحمد في «السنّة» ص٢٤٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وذكره المتّقي في الكنز: ١٣٣/١١ طبع المطبعة العلمية بيروت.

أهم المصادر

١ ـ تاريخ الطبري الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.

٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الثانية لدار إحياء التراث العربي (١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ).

٤ ـ كنز العمّال للمتقي الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان الطبعة الأُولى (١٤١٩ هـ).

٥ ـ وقعة صفين لنصر بن مزاحم، منشورات مكتبة المرعشي، الطبعة الثالثة (١٤١٨ هـ).

٦ ـ تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأُولى (١٤١١ هـ).

٧ـ كتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ، تحقيق أحمد زكي باشا.

٨ـ طبقات ابن سعد، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٩ـ الأغاني لأبي الفرج الأُموي، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

١٠ـ الروض الأنِف للسهيلي، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

١١ـ العقد الفريد لابن عبدربّه، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

١٢ـ ربيع الأبرار للزمخشري، مؤسسة الأعلمي بيروت ـ لبنان.

١٣ـ مروج الذهب للمسعودي، دار المعرفة بيروت ـ لبنان

١٤ـ المحاسن والمساوي للبيهقي، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

١٥ـ المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي.

١٦ـ تاريخ المدينة المنوّرة لعمر بن شبّه.

المرء بعد الموت أُحدوثةٌ يفنىٰ وتبقىٰ منه آثاره

فأحسن الحالات حالُ امرىءٍ تطيب بعد الموت أخباره

الفهرس

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ٥
مقدمة المؤلف ٩
«أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» ١٣

الناكثون

طلحة ١٧
طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ١٨
طلحة مع أبي بكر ١٩
طلحة مع عمر ٢٠
طلحة مع عثمان ٢١
مروان يثأر لعثمان ٢٤
الزبير ٢٥
رأي عمر فيه ٢٦
موقف الزبير من عثمان ٢٧
تذكير وتحذير من قبل الأمير عليه السلام ٢٧

العاقبة والمصير ٢٩
طلحة والزبير تحت المجهر ٣١
أُم المؤمنين عائشة ٣٢
عائشة مع عثمان ٣٣
أخطأت في الثالث ٣٦
عائشة مع أمير المؤمنين عليه السلام ٣٨
غناء وضرب بالدفوف ٤١
سجدة الشّكر ٤٣
ابتداء الغدر والنكث ٤٤
وتحرّك الناكثون ٤٦
شتان ما بين الموقفين ٤٩
حفصة وعائشة نضال مشترك ٥٠
كلاب الحوأب ٥٢
خرجوا للإصلاح ٦٠
يوم الجمل الأصغر ٦٣
رسالة من أُمّ الى ابنها ٦٤
الأمر أمرها ٦٤
أعذر من أنذر ٦٥

مسلم اسم على مسمّى ٦٦
كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره ٧٤
الإيثار ٧٤
من خطبة لعليّ في قادة الجمل ٧٥
صدق رسول الله ﷺ ٧٥

القاسطون

الدعوة الى البيعة والطاعة ٧٨
شراء الدين والضمائر ٧٩
قميص عثمان ٨٢
ويل للمطفّفين ٨٤
معاوية ٨٨
عداؤه وبغضه للنبي ﷺ ٩٠
همّه الإمرة والرئاسة ٩٢
اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً ٩٢
نصره حيث كان النّصر له ٩٣
ضئيل محتقر ٩٤
عمرو بن العاص ٩٥

عمرو بن العاص مع عثمان ٩٧
ما ينطق عن الهوى ٩٩
بطل بعورته يقاتل ١٠١
أبو موسىٰ الأشعري..... ١٠٢
أبو موسى يثبّط الناس عن نصرة عليّ عليه السلام..... ١٠٥
النبيّ يخصّه بالقعود ١٠٦
غَلَبهُ الغش..... ١٠٨
الأشعري في كلام عليّ عليه السلام ١١٠
ورث البغض لا عن كلالة..... ١١٢
قَدِم الشيخ لأُولّيه ١١٢
تشابهت قلوبهم ١١٣
من أخبار عليّ في طريقه الى صفّين ١١٤
الراهب الشهيد ١١٥
الخلق الكريم ١١٦
علي مع القرآن..... ١١٧
الإعلام المضلّل والدعاية الممقوتة..... ١١٨
البدر يحفه البدريون ١٢٠
مع ابن هند من لا سابقة له ١٢١

الاستبصار على يديّ عمّار ١٢٣
سمّهم بما سماهم الله ١٢٥
صدق النبيّ المختار في حقّ عمّار ١٢٥
قصّة التحكيم ١٣٢
وتكرر صلح الحديبيّة كما قال خير البريّة ١٣٦
مثل الكلب والحمار مسرحيّة جميلة ١٣٨
صدق النبيّ ﷺ ١٤٠

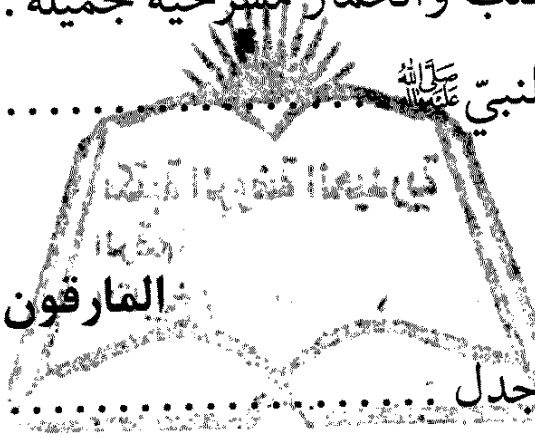

جهل وجدل ١٤٦
الخلق الكريم حتّى مع عدوّه ١٤٨
شناعة وبشاعة ١٤٩
صدق الله وكذب المنجّمون ١٥١
كأنّي بك وقد وطأتك الخيل ١٥٣
لا يقتل منّا عشرة ولا ينجو منهم عشرة ١٥٤
حقّ القول كما قال الرسول ﷺ ١٥٧
المختار من الأخبار ١٥٩
ردّاً على عجل ١٦٣

آراء الرجل وعقيدته ١٦٣
الشجرة الملعونة ١٧١
من مصادر الحديث ١٧٧
أهم المصادر ١٨٣
الفهرس ١٨٥

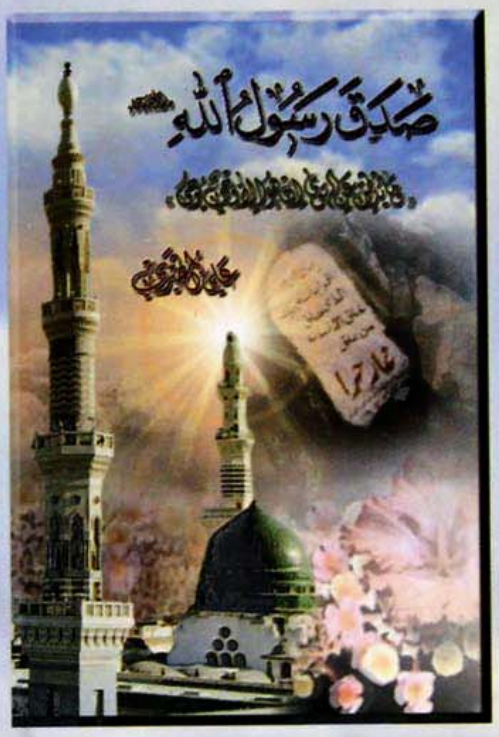

Ṣadaqah Rasūlullāh

Verily, the Messenger of Allah Spoke the Truth

'Alī Al-Muṭayrī

المجمع العالمي لأهل البيت

www.ahl-ul-bait.org

ISBN 964-8686-91-2